كسر قيود الشك

حوارات صادمة مع الملحدين
تغير قناعاتك

تأليف
مهدي الموسوي الجابري

مركز الدليل العقائدي

الدليل العقائدي

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: كسر قيود الشك

تأليف: السيد مهدي الموسوي الجابري

مراجعة وتصحيح: الشيخ تحسين غازي البلداوي

إخراج وتصميم: صفاء أحمد الشمري

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ٢٠٢٤م - ١٤٤٥هـ

الناشر: مركز الدليل العقائدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم حين قال في حديثٍ صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي،

(١) فصلت: ٣٣.

وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معًا، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد المؤمنين أميرِ المؤمنين مولانا عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاء كتاب "كسر قيود الشك/ حوارات صادمة مع الملحدين تغيِّر قناعاتك"، آملين أنْ يجد القارئ الكريم فيه ما ينفعُه في أمور دينِه ودنياه وآخرته، ونأمل أنْ يزداد بصيرةً بوقوفه على حقائقَ نَفضْنا عنها غبارَ الشُّبهات بعد أنْ أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونتوخى أن يكون هذا

الكتاب نبراسًا لحلِّ ما التبس على بعضِ الناس من مسائلِ العقيدة، وإنارةِ السبيل لهم، وأنْ يجدوا فيه ضالَّتهم، وإجابةَ مسألتِهم.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على خير خلقه أجمعين، محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

اللجنة العلمية في مركز الدليل العقائدي

النجف الأشرف

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المعبود، وبكلّ لسان محمود، الذي عمّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، وعلى آله الركَّع السجود، واللعن من الله على أعدائهم مؤبدًا بالخلود.

وبعد:

يقدم هذا الكتاب رحلة فكرية عميقة، بحوارات شيِّقة بين مؤمن وملحد، تتناول مواضيع دينية متنوعة بدءًا من وجود الله سبحانه وصفاته وانتهاءً بالحياة بعد الموت.

يستخدم الكتاب حججًا قوية وأدلة مقنعة لدحض شبهات الملحدين وتأكيد صحة العقيدة الإسلامية، باعتماده على منطق العقل والفطرة السليمة، فيتناول مواضيع الدين والإيمان بنحوٍ عقلاني وموضوعي، دون التعصب، ويقدِّم إجابات شافية على تساؤلات الملحدين في سلسلة حوارات:

الحوارية الأولى: تناقش مصدر الإيمان بالله.

الحوارية الثانية: تناقش التناقض المزعوم بين الصفات الإلهية والعلم.

الحوارية الثالثة: تناقش مسألة وجود الله.

الحوارية الرابعة: تناقش سؤال "ما مصلحة الله في خلق الخلق؟".

الحوارية الخامسة: تناقش إمكانية نجاة غير المسلمين.

الحوارية السادسة: تناقش سؤال "لماذا لم يستشرني الإله قبل أن يخلقني؟!".

الحوارية السابعة: تناقش عدالة الله في عذاب الكافرين.

الحوارية الثامنة: تناقش قدرة الإنسان على التمييز بين الصواب والخطأ.

الحوارية التاسعة: تناقش عدم استجابة الله لدعاء المؤمنين.

الحوارية العاشرة: تناقش رحمة الله ومسؤولية الإنسان.

الحوارية الحادية عشرة: تناقش العلاقة بين الإيمان بالله والاستمتاع بالحياة.

الحوارية الثانية عشرة: تناقش تحدّي القرآن للإنس والجن.

الحوارية الثالثة عشرة: تناقش دوافع الإيمان بالله.

الحوارية الرابعة عشرة: تناقش طبيعة الدين.

الحوارية الخامسة عشرة: تناقش سلطة الدين.

الحوارية السادسة عشرة: تناقش علاقة الدين بالحروب.

الحوارية السابعة عشرة: تناقش قيمة الإنسان.

الحوارية الثامنة عشرة: تناقش صفتَي الله "الرحمن والرحيم".

الحوارية التاسعة عشرة: تناقش الخوف والإيمان.

الحوارية العشرين: تناقش أثر العلم والدين.

الحوارية الحادية والعشرين: تناقش حرية التعبير.

وختامًا: يتميز أسلوب الكتاب بالبساطة والوضوح، بعيدًا عن التعقيد والغموض، مما يجعله سهل الفهم على جميع القراء، مهما كانت ثقافتهم أو خلفيتهم المعرفية، ويُعدّ بمثابة مُرشدٍ يُساعد على تعزيز الإيمان وتقوية العقيدة، ويُحفز على التفكير العميق والنظر في عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

ومن الله سبحانه استمد العون، وهو ولي التوفيق.

مهدي الموسوي الجابري

٦ شوال ١٤٤٥م

تمهيد

نظرة سريعة على الإلحاد

تاريخه، تعريفه، أنواعه، دوافعه، متبنياته، ورؤيته

١- محطات بارزة في تاريخ الإلحاد

برزت عبر العصور أفكار وتيارات إلحادية، تاركة بصماتها على مسار التاريخ الفكري، وليس من السهل تحديد تاريخ نشأة الإلحاد بمعناه الدقيق؛ وذلك لاختلاف الباحثين في مفهوم الإلحاد الناشئ عن تطور هذا المفهوم تاريخيًّا، ولكن بالإمكان تقديم لمحة مقتضبة عن الإلحاد بذكر أول حركاته المسجلة تاريخيًّا:

ففي الهند القديمة ظهرت بوادر الشك في النصوص الدينية المقدسة "ريج فيدا" (حوالي ١٠٠٠ ق.م)، وتبعتها البوذية (٥٠٠ ق.م)، والتي ركزت على المعاناة الإنسانية والخلاص منها، دون التركيز على الآلهة.

وفي اليونان القديمة، ظهرت الفلسفة المادية مع ديموقريطس (٤٢٠ ق.م)، الذي عدّ الذرات أساس الكون، ونفى وجود الآلهة،

كما برز أبيقور (٣٤١-٢٧٠ ق.م)، مؤسس "مجادلة الشر"، التي تشكّك في قدرة الإله على القضاء على الشر.

وفي العصر الحديث، هيمنت الكنيسة الكاثوليكية على المعرفة في أوروبا، معتمدةً على آراء أرسطو وبطليموس، لكنّ الاكتشافات العلمية لـ(كوبرنيكوس، جاليليو، نيوتن) زعزعت تلك المعتقدات، وأطلقت شرارة الثورة العلمية.

أما في القرن السابع عشر، فقد ظهرت حركة التنوير، التي ركزت على العقل ومنهج التفكير العلمي، ممّا أدى إلى ازدياد النزعة الشكّية والشك في المعتقدات الدينية.

وفي القرن الثامن عشر، ازداد الشك في المعتقدات الدينية بنحوٍ كبير، وبرز سؤال نيتشه الشهير "هل مات الإله؟".

وفي القرن العشرين، ازداد نفوذ الأفكار الماركسية، التي تنكر وجود الإله، وتعدّ الدين أفيون الشعوب.

وفي أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، برز مصطلح "الإلحاد الجديد"، وتميزت هذه الموجة بمشاركة الملحدين الفاعلة في نقد الأديان، ومن أبرز روادها سام هاريس، دانييل دينيت، ريتشارد دوكينز، فيكتور ستينجر.

ولا يزال موضوع الإلحاد موضع نقاش وجدل واسع حتى

يومنا هذا، وتختلف تفسيرات وتقويمات هذه الأحداث بين المؤرخين والفلاسفة.

٢- تعريف الإلحاد:

الإلحاد لغةً: مأخوذ من مادة (ل ح د) التي تدل على ميل عن الاستقامة، يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريقة الحق والإيمان.

واصطلاحًا: هو مذهب فكري ينفي وجود خالق للكون، واشتقّت التسمية من اللغة الإغريقية (أثيوس) وتعني بدون إله، وجاء في المعجم الفلسفي: «الإلحاد مذهب من ينكرون الألوهية، والملحد غير مؤلِّه، وهذا معنى شائع في تاريخ الفكر الإنساني»[1]، وهذا الوضع إنما جرى عليه الاصطلاح لدى الكتَّاب المعاصرين؛ إذ قصروا الإلحاد على إنكار وجود الخالق.

٣- أنواع الإلحاد:

يتخذ الإلحاد أشكالًا متنوعة، من الإلحاد الصريح الذي ينفي وجود أي إله بنحو قاطع، إلى اللاأدرية التي تُشكّك في إمكانية معرفة ما إذا كان الله موجودًا أم لا، وهي كالآتي:

◆ **الإلحاد العلمي:** وأصحاب هذا الاتجاه يبرِّرون إلحادهم بالكشوفات العلمية والنظريات العلمية كنظرية التطور الحديثة، وقوانين الفيزياء الكمِّية، وغيرها في إثبات عدم الحاجة للإله أو نفي

(١) المعجم الفلسفي، ص٢٠.

الإلـه.. وهـذا النـوع مـن الإلحـاد لا يقـدم المـبرِّرات للإيـمان بالإلحـاد أبـدًا.

◆ **الإلحـاد الأنثروبولوجـي:** وهـذا الاتجـاه الإلحـادي يذهـب إلى الاسـتدلال بالنظريـات الأنثروبولوجيـة والتشـابه فيـما بـين الحضـارات البشريـة إلى نفـي الديانـات وزيفهـا، ومـن ثـم -بنـاء عـلى ذلـك- نفـي الإلـه.

◆ **الإلحـاد الاجتماعـي:** هـذا الإلحـاد يـأتي مـن خلفيـة اجتماعيـة، وليـس إلحـادًا عقليًّـا، وهـو بمثابـة إعـلان غضـب عـلى الـرب والعيـاذ بـالله ، وهـؤلاء ينظـرون إلى بـؤس مجتمعاتهـم وانحطـاط مـا هـم فيـه عـلى أنـه نتـاج التمسـك بالديـن، وتراهـم في مقارنـة دائمـة بـين مجتمعاتهـم وبـين المجتمعـات الغربيـة المنعتقـة مـن الديـن، ويعـزون تطورهـا لذلـك، ومـن الطريـف أنهـم لا يشـيرون أبـدًا بكلمـة الغـرب إلى دول أوروبـا الشرقيـة أو الوسـطى التـي لا تختلـف عنهـم في بؤسـها، بـل دائـمًا يشـيرون إلى دول الغـرب الغنيـة التـي بنـت تراثهـا ومجدهـا عـلى دمـاء الشـعوب الفقـيرة والتحكـم بهـا.. فهـؤلاء يحمِّلـون الله وزر هـذا التخلـف ليـبرِّروا كفرهـم بـه، لكـون مـا هـم فيـه -بتصورهـم- نقيـض العـدل!!

◆ **الإلحـاد النفسـي:** وأصحـاب هـذا الاتجـاه مصابـون بعُقـد نفسـية مـن المتدينـين ممـا يجعلهـم ينفـرون مـن الديـن كلـه أو أنهـم يـرون في الديـن حِجـرًا عليهـم، فإلحـاد هـؤلاء إمـا نتيجـة تصـورات سـاذجة في فهـم التوحيـد والديـن، أو للتخلـص مـن عقـدة الذنـب التـي ترافقهـم

نتيجة رغبتهم في عدم التقيد بالقيم الدينية، فيلحدون تخلصًا منها أو نقمة عليها.

◆ **الإلحاد الفلسفي:** وهذا النوع من الإلحاد مادته الرئيسة مصطلحات الفلسفة والمنطق والتنظير النظري، وساحته هي المباحث الفلسفية والمنطقية المتعلقة بالعلل والمعلولات والسبب والسببية والخير والشر، وهي مباحث نظرية في المجمل. ولا يستدعي مصطلحات العلوم التطبيقية وغيرها. وفي جذوره هو ملفق من حالات نفسية واجتماعية تجعل صاحبها يلحد، ويبرر إلحاده بالمغالطات الفلسفية والمنطقية.

◆ **الإلحاد الأدبي:** يتبنى هذا الاتجاه الإلحاد على أنه وسيلة تخلِّصه من الالتزام بقيم خُلقية أو معيارية، بحيث يصبح الكاتب الأدبي متحررًا في كتاباته الأدبية، فيخاطب الغرائز دون وجود قيد يمنعه أو ذنب. ومستند هذا النوع من الإلحاد هو الخطابيات والشعر ومخاطبة الغرائز الشهوانية والسَّبُعيَّة في الناس، ويلقى رواجًا بين قراء الأدب والروايات على وجه الخصوص.

◆ **الإلحاد اللاأدري:** يتنوع الموقف اللاأدري بين الحياد السلبي والحياد الإيجابي تجاه وجود الخالق وبنحوٍ متفرع عنه الدين.

وتنقسم اللاأدرية إلى:

◆ **سلبية:** فهي التي لا ترى في وجود الله قضية بارزة، ولا يترتب

على البحث فيها ثمرة؛ لذلك هو يأخذ موقف اللاأدري من حيث عدم عنايته ونظرته السلبية لقضية الخالق سبحانه.

◆ **إيجابية:** فهي التي ترى وجود الرب، لكنها لا ترى في الأديان ما يستدعي الإلزام بأحدها لعبادة الله، إنما يكتفون بالإيمان بوجوده وغالبًا هذا الإيمان لا يترتب عليه تكليف أو اعتقاد غير الاعتقاد بوجوده فقط.

ويندرج الموقف اللاأدري تحت الإلحاد؛ لأنه يعطي (لا إجابة) عن قضية الخالق والخلق، وهو موقف يتسم عادة بالضبابية[١].

الملحد سبعة أنواع على وفق مقاييس دوكنز للإيمان[٢]:

وضع ريتشارد دوكنز مقياسًا للإيمان، يتكون من سبع درجات، تتراوح من الإيمان المطلق بوجود إله (الدرجة ١) إلى الإلحاد المطلق (الدرجة ٧):

◆ **الدرجة ١:** مؤمن بقوة بوجود إله: احتمال وجود الله ١٠٠٪.

◆ **الدرجة ٢:** مؤمن بوجود الله بحكم الأمر الواقع: احتمالية وجود الله عنده عالية جدًّا، لكنها أقل من ١٠٠٪.

◆ **الدرجة ٣:** المؤمن الضعيف: الميل تجاه الإيمان بإله. الاحتمالية أكثر من ٥٠٪، لكنها ليست عالية جدًّا.

---

(١) يُنظر: أنواع الإلحاد نظرة مجملة، علي حمزة زكريا، ص٨ - ٣٠.

(٢) ريتشارد دوكنز (٢٠٠٦). The God Delusion (بالإنكليزية). بوسطن: هافتون ميفلين. ص٧٣.

- **الدرجة ٤:** الحياد التام: " تتساوى عندي نسبة احتمال وجود إله من عدمه".
- **الدرجة ٥:** الملحد الضعيف: الميل تجاه الإلحاد، أقل من ٥٠ ٪، لكنها ليست قليله جدًّا.
- **الدرجة ٦:** الإلحاد بحكم الأمر الواقع: النسبة قليلة جدًّا، لكنها لا تصل إلى الصفر.
- **الدرجة ٧:** ملحد بقوة: "أنا أعرف أن الإله غير موجود بنفس الدرجة التي يعرف بها كارل يونغ أنه موجود".

٤- دوافع الإلحاد:

تتفاوت دوافع الإلحاد من فرد إلى آخر نتيجة لتباين العوامل التي تدفعهم نحو هذا الموقف، سواء كانت نفسية، أو فكرية، أو اجتماعية، أو سياسية، وعلى رغم أن الإلحاد لم يصنَّف على أنه مرض نفسي، إلا أن العديد من الدراسات والأبحاث أكدت وجود علاقة بينه وبين بعض العوامل النفسية، وبالنتيجة، فإن الحوار وتقديم الأدلة والحجج ليسا كافيين في العديد من الحالات، حيث إن جذور المشكلة تكمن في الجوانب النفسية بدرجة أكبر من الجوانب العقلية أو الدينية، ومن بين تلك العوامل والدوافع الرئيسة للإلحاد:

العوامل النفسية:

◆ **التجارب الشخصية السلبية:** قد تدفع بعض التجارب السلبية -مثل التعرض للتشدُّد أو الظلم من قبل بعض الحركات والتيارات المتطرفة باسم الدين- إلى الشعور بالنفور من الدين بنحوٍ عام، وبالنتيجة الميل إلى الإلحاد.

◆ **المعاناة والألم في العالم:** قد يدفع بعضَهم الشعورُ بالمعاناة والألم في العالم إلى التشكيك بالعدل الإلهي، لا سيما إذا تعرضوا لمصائب شخصية، مما يدفعهم إلى الشك في وجود إله رحيم.

◆ **الخوف من الموت:** قد يلجأ بعضهم إلى الإلحاد على أنها آلية دفاعية ضد الخوف من الموت، معتقدين أن الموت هو نهاية الوجود.

العوامل الفكرية:

◆ **توهم التناقضات في النصوص الدينية:** قد يتوهم بعضهم وجود تناقضات في النصوص الدينية، مما يدفعه إلى الشك في صحتها، وبالنتيجة الميل إلى الإلحاد.

◆ **توهم تناقض التقدم العلمي مع المعتقدات الدينية:** قد يرى بعضهم أن التقدم العلمي يتناقض مع بعض المعتقدات الدينية، مما يدفعه إلى التشكيك في صحتها.

◆ **توهم صحة النقد الفلسفي للدين:** قد يتأثر بعضهم متوهما صحة النقد الفلسفي للدين، مما يدفعهم إلى إعادة النظر في معتقداتهم.

العوامل الاجتماعية:

◆ **التأثر بالبيئة الاجتماعية:** قد يتأثر بعضهم ببيئته الاجتماعية، خاصةً إذا كانت بيئة ملحدة أو متشكِّكة في الدين.

◆ **فقدان الثقة في المؤسسات الدينية:** قد يفقد بعضهم الثقة في المؤسسات الدينية بسبب فساد بعض أفرادها أو سوء تصرفهم، مما يدفعه إلى التشكيك في الدين بنحوٍ عام.

٥ - متبنيات الإلحاد:

◆ **نشأة الكون:** يعتقد الملحدون أنّ قوانين الفيزياء والطبيعة كافية لتفسير نشأة الكون وتطوره دون الحاجة إلى خالق.

◆ **نشأة الحياة:** يعتقد الملحدون أنّ الحياة نشأت من عمليات كيميائية معقدة، دون الحاجة إلى تدخل إلهي.

◆ **الموت:** يعتقد الملحدون أنّ الموت هو نهاية وجود الإنسان، وأنّ الروح أو الوعي لا يستمر بعد الموت.

◆ **الأخلاق:** يعتقد الملحدون أنّ الأخلاق تطورت من التعاون الاجتماعي، وأنّها ليست ناتجة عن أوامر إلهية.

٦ - الرؤية الإلحادية للحياة:

◆ **لا توجد غاية أو هدف للحياة:** حيث يعتقد الملحدون أنّ الحياة ليس لها معنى محدد مسبقًا، وأنّ على كل شخص أن يخلق معناه الخاص للحياة.

◆ **الإنسان ليس مختارًا لأفعاله:** يعتقد الملحدون أنّ أفعال الإنسان تُحدِّدها عوامل بيولوجية وبيئية، وأنّ الإنسان ليس حرًّا في تصرفاته.

◆ **السعادة هي الهدف الأساس للحياة:** يعتقد الملحدون أنّ هدف الحياة هو تحقيق السعادة والرفاهية للفرد والمجتمع، وأنّ الدين ليس ضروريًّا لتحقيق هذه الأهداف.

الحوارية الأولى

العقل والفطرة هما مصدر الإيمان بالله

مقدمة

يتناول هذا الحوار نقاشًا بين ملحد ومؤمن حول مصدر الإيمان بالله سبحانه، فيرى الملحد أن مصدر الإيمان بالله هو الرسل والكتب المقدسة، وأن مجرد التشكيك في هذه المصادر يهزّ الإيمان في قلوب الناس، بينما يثبت المؤمن أن مصدر الإيمان بالله هو العقل والفطرة، وأن الإيمان بالرسل والكتب السماوية يأتي بعد الإيمان بالله سبحانه.

نقاط النقاش:

- هل العقل والفطرة هما المصدر الحصري للإيمان بالله؟
- هل يؤثر التشكيك بالرسل والأنبياء على الإيمان بالله، وهل لهم أثر في تعزيز الإيمان؟
- ما الأدلة العقلية على صدق القرآن الكريم؟
- هل يؤثر التشكيك بالكتب السماوية على الإيمان بالله؟

العقل والفطرة هما مصدر الإيمان بالله

الملحد:

أعتقد أن مصادر الإيمان بالله تكمن في الرسل والكتب المقدسة. فإذا شكّكنا في الرسل وفي هذه الكتب أو محتواها، فإن الإيمان بالله يهتزّ في قلوب الناس؟

المؤمن:

هذا الكلام غير صحيح؛ لأن مصدر الإيمان بالله هو العقل والفطرة، اللذان من شأنهما الإقرار والتسليم بوجود خالقٍ، أما الإيمان بالرسل والكتب السماوية، فيأتي بعد الإيمان بالله، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه الحقيقة بوضوح، عندما سُئل عن كيفية إثبات الأنبياء والرسل، فأجاب عليه السلام: «إنه لما أثبتنا أن لنا خالقًا صانعًا متعاليًا عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيمًا متعاليًا لم يجز أن يشاهده خلقُه، ولا يلامسوه، فيباشرهم، ويباشرونه، ويحاجّهم ويحاجّونه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به

بقاؤهم وفى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس -على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب- في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهرٍ وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة، يكون معه علمٌ يدل على صدق مقالته وجواز عدالته»[1].

الملحد:

ولكنْ كيف يمكننا أن نثق بالكتاب (القرآن) الذي يُدّعى إلهيته؟

المؤمن:

الثقة في القرآن أتت من ثبوت صحته وأنه كله حقٌّ، فلا يكذبه عاقل، ولا يشك به إلا جاهل، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2]، فكل آية من آياته شاهدة على صدقه وعدم الاختلاف والتناقض هو من الأدلة العقلية على صدق ما جاء في القرآن، وقد حفظ الله كتابه

(١) الكافي، ج١، للشيخ الكليني، ص٢١٦.
(٢) النساء:٨٢.

من التحريف والتغيير ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، وعليه، فإن القرآن هو كتاب الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ من غير زيادة أو نقصان.

الملحد:

هذا فيما يخص القرآن، ولكنْ ماذا عن الكتب السماوية السابقة؟ كيف لنا أنْ نعلم أنها قد تعرضت للتحريف؟

المؤمن:

الكتب السماوية السابقة قد انتهت وظيفتها بعد نزول القرآن، وما حصل فيها من تحريف لا يستوجب الشك في الله؛ لأن الإيمان بتلك الكتب -كما أشرنا سابقًا- جاء بعد الإيمان بالله.

وعليه، فالتشكيك بالكتب السماوية لا يتسبَّب بزعزعة الإيمان في قلوب المؤمنين؛ لأنها ليست المصدر الأساس في الإيمان بالله سبحانه، وإنما الأساس في ذلك هو العقل والفطرة، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) الروم: ٣٠.

النتيجة:

١ – العقل والفطرة هما المصدر الأساس للإيمان بالله.

٢ – فطرة الإنسان تميل إلى الإيمان بخالق حكيم.

٣ – الإيمان بالله سبق الإيمان بالرسل والكتب السماوية.

٤ – وظيفة الكتب السماوية السابقة قد انتهت بعد نزول القرآن.

٥ – تحريف بعض الكتب السماوية لا يعني الشك في الله.

إذًا، الإيمان بالله راسخ في العقل والفطرة، ولا يهتز بمجرد التشكيك في الرسل والأنبياء أو الكتب السماوية السابقة على نزول القرآن الكريم.

الحوارية الثانية

زعم التناقض بين الصفات الإلهية والعلم

مقدمة

في هـذا الحـوار يـدور نقـاش حـول التناقـض المزعـوم بـين الصفـات الإلهيـة والعلـم، ويـرى الملحـد تناقضًـا بـين الصفـات التـي يطلقهـا المؤمنـون عـلى الله، مثـل "خـارج الزمـان والمـكان"، مـع حقائـق العلـم التـي تُظهـر أن الزمـان والمـكان جـزء لا يتجـزأ مـن الوجـود بـأسره، وبنـاءً عـلى هـذا التناقـض، يشـكّك في وجـود الله.

يثبـت المؤمـن أن الله لا يشـبه خلقـه، ولا ينطبـق عليـه مفهـوم الزمـان والمـكان، ويـرى ضرورة إثبـات وجـود الله قبـل البحـث عـن صفاتـه، ويُشـير إلى أن إثبـات وجـود الله مـن وظائـف العقـل، وليـس التجربـة الحسـية؛ لأن البحـوث الحسـية لا تدخـل في دائـرة المباحـث الفلسـفية.

نقاط النقاش:

- هل من الضروري إثبات وجود الله قبل البحث عن صفاته؟
- هل الله موجود في الزمان والمكان؟
- كيف يمكن لله أن يكون خالقًا للزمان والمكان، وهو غير موجود فيهما؟
- هل إن صفات الله متناقضة مع العلم؟
- هل يمكن إثبات وجود الله باستخدام الأدلة العلمية؟
- هل مسألة الإيمان بالله علمية أو فلسفية؟

زعم التناقض بين الصفات الإلهية والعلم

الملحد:

أنا مستغرب حقًّا من كيفية إيمانكم بالإله على رغم تناقض الصفات التي يطلقها المؤمنون على الله مع حقائق العلم. على سبيل المثال، عندما نسألكم عن مكان الله، تجيبون ببساطة بأنه خارج الزمان والمكان. كيف يمكن أن يكون هناك شيء خارج الزمان والمكان، ونحن نعلم أن الزمان والمكان يسيطران على الوجود بأكمله؟

المؤمن:

يبدو أنك تحاول تبرير إنكار وجود الله بإظهار تناقضٍ بين الصفات الإلهية والعلم، وهذا في الواقع أسلوب ماكر. فالحديث عن الصفات يأتي بعد إثبات وجود الله؛ لذا ينبغي عليك أولًا البحث في إثبات وجود الله قبل البحث عن صفاته، وكما يقولون في المثل (العرش ثم النقش)، فلا يمكن النقش من دون وجود عرش؛ لأن الخلاف الرئيس بيننا يتعلق بمسألة هي: هل هناك خالق للكون

أو لا؟ ومتى ما حصل الإقرار بوجود إلهٍ خالق يأتي دور البحث عن الصفات الإلهية، وهل تتناقض مع العلم أو لا؟

الملحد:

لكنكم تصرّون على وجود الله، وهذا يوجب عليكم أن تضعوا وصفًا محدّدًا له، ولا يمكن تحديد مكان الله بأنه خارج الزمان والمكان، فكيف يمكن أن يكون ذلك ممكنًا، ونحن نعلم أن كل شيء محكوم بالزمان والمكان؟

المؤمن:

المكان لا علاقة له بالصفة، فالصفات شيء، ومكان وجوده شيء آخر، فإذا أردنا معرفة صفات شخص فلا يمكن أن تكون الإجابة بتحديد مكان وجوده، ومن الواضح أن البحث عن المكان من المسائل المرتبطة بطبيعة الشيء، فإذا كان الشيء ينتمي إلى عالم المادة فمن المؤكد أنْ تكون له علاقة بالمكان، ولكنْ ليس على نحو الصفة، وإنما يكون ملازمًا للمكان، أي أن كل ما هو موجود في عالم المادة يكون محكومًا بالزمان والمكان، وكل ما كان محكومًا بالزمان والمكان فهو حادث، أي أنه لم يكن سابقًا ثم وجد، فأنا مثلًا لم أكن موجودًا في زمان سابق، ومن ثم وجدتُ، أو أنني الآن موجود في هذا المكان، فلا يمكن أن أكون في مكان آخر في الوقت نفسه، وإذا ثبت ذلك فلا بد أن يكون صانع هذا الكون مختلفًا، وإلا لكان أيضًا محكومًا بالزمان والمكان، وإذا كان محكومًا فيكون حادثًا (لم يكن ثم كان) أي

أنـه يحتـاج إلى مـن يوجـده، وبذلـك يكـون مخلوقًـا، وليـس إلهًـا؛ لذلـك وجـب أن يكـون خارجًـا عـن الزمـان والمـكان.

الملحد:

ولكـنّ هـذا التفكـير يشـوش، ويثـير الاضطـراب، فالمـكان هـو جـزء مـن طبيعـة الـشيء. فكيـف يمكـن لله أن يكـون خـارج الزمـان والمـكان، فهـل لديكـم أي دليـل علمـي عـلى ذلـك؟

المؤمن:

التشـويش والاضطـراب ناتـج عـن اعتقـادك أن الإلـه مشـابه للمخلوقـات، ومـن البداهـة بمـكان أن هـذا المُشـابه لخلقـه لا يكـون إلهًـا، بـل مخلوقًـا، وعـلاوة عـلى ذلـك فـإن إثبـات وجـود إلـه خالـق إنـما هـو مـن وظائـف العقـل، وليـس التجربـة الحسـية؛ لأن الـكلام عـن إثبـات وجـود إلـهٍ أو نفيـه هـو مـن المباحـث الفلسـفية التـي تعتمـد عـلى البرهـان العقـلي، والبحـوث الحسـية غـير داخلـة في الدائـرة الفلسـفية، أو يمكـن أن يقـال: هـو خـارج تخصُّصًـا عـن دائـرة المختـبر، أي ليـس مـن تخصـص المختـبرات العلميـة، ومحاكمـة النتائـج العقليـة الفلسـفية بواسـطة المعايـير المختبريـة هـي رعونـة وجهـل؛ لأنـه خلْـط للعلـوم والتخصصـات.

النتيجة:

١- ضرورة إثبات وجود الله قبل البحث عن صفاته.

٢- الله لا يشبه خلقه، ولا ينطبق عليه مفهوم الزمان والمكان.

٣- إثبات وجود الله من وظائف العقل، وليس التجربة الحسية.

٤- البحوث الحسية لا تدخل في دائرة المباحث الفلسفية.

إذًا، العقل يثبت وجود إله خالق خارج الزمان والمكان، وأن هذا الإله لا تتعارض صفاته مع العلم.

الحوارية الثالثة

الكون إبداع إلهِ الطبيعة أم إلهِ الصُدفة

مقدمة

هـذا الحـوار يتنـاول مسـألة وجـود الله سـبحانه، حيـث يطـرح الملحـد إشـكالية عـدم وجـود إجابـة علميـة قاطعـة لسـؤال: مـن خلـق الكـون؟ بينـما يـردّ المؤمـن بالأدلـة العقليـة التـي تثبـت وجـود خالـق.

ويناقـش الحـوار -أيضًـا- أثـر الطبيعـة والصدفـة في خلـق الكـون، ويثبـت أن الطبيعـة لا يمكـن أن تخلـق نفسـها، وأن الصدفـة لا يمكـن أن تخلـق كونًـا منظّـمًا.. ويُقـدم الحـوار أدلـة تثبـت أن الفطـرة البشريـة تدعـو إلى عبـادة إلـه خالـق.

نقاط النقاش:

- هل العلم عاجز بالفعل عن تقديم إجابة لسؤال: من خلق الكون؟
- ما الأدلة العقلية التي قدمها الفلاسفة وعلماء آخرون لإثبات وجود الله؟
- لماذا فكرة أن الطبيعة هي التي خلقت الكون مرفوضة؟ وما الأدلة التي تدعم فكرة أن الطبيعة لا يمكن أن تخلق نفسها؟
- لماذا فكرة أن الصدفة هي التي خلقت الكون مرفوضة؟ وما الأدلة التي تدعم فكرة أن الصدفة لا يمكن أن تخلق كونًا معقدًا مثل كوننا؟
- ما الحجج التي تثبت حتمية وجود خالق للكون؟
- هل يولد البشر مفطورين على الإيمان بوجود إله؟ وما الأدلة التي تدعم هذه الفكرة؟
- كيف يمكن تفسير وجود أديان مختلفة في العالم؟ وهل هذا الاختلاف بينها ينفي وجود إله واحد؟

الكون إبداع إلهِ الطبيعة أم إلهِ الصُدفة

الملحد:

يظهر بوضوحٍ أن العلم لا يزال عاجزًا عن تقديم إجابةٍ لسؤالٍ حول مَن خلق الكون! فكيف يمكن للموحِّدين الاعتماد على فكرة (الله) على أنها حلٌّ لهذه الفجوة في المعرفة؟

المؤمن:

صحيحٌ أن العلم قد حقَّق تقدمًا كبيرًا، ولكنْ لا يزال ثمّة أمورٌ لم يتمكّن من حلِّها بعدُ، وأبرزها (مَن خلق الكون؟)، وبالنسبة لنا، فلدينا أدلة كثيرة موجودة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية، تشير إلى أنّ الله هو الخالق.

الملحد:

لكنْ ماذا عمّن لم يؤمن بالقرآن والسُّنة؟ كيف يمكن تفسير وجود الله دون الرجوع إلى الدين؟

المؤمن:

يمكن الرجوع إلى الأدلة العقلية التي قدّمها الفلاسفة وعلماء آخرون، وهي أدلة واضحة لكل عاقل؛ لأن هذه المخلوقات -سابقها ولاحقها- لا بدَّ لها من خالق أوجدها.

الملحد:

ولِمَ لا يُقال: إن الطبيعة هي التي خلقت الخلق، وأوجدته.

المؤمن:

هذا الكلام لا يخرج عَنْ تفسير الماء بالماء، فالأرض خَلقتِ الأرض، والسماء خَلقت السماء، والأصناف صَنَّفَتْ نفسَها، والأشياء أوجدت ذاتها، فهي الحَادث والمُحدِث، وهي المخلوق والخالق فِي الوقت ذاته!!

وهذا إما ادِّعَاءٌ بأن الشيء وُجِدَ بذاته من غير سبب، وهو باطل بقانون السببية، وإما إدماج الخَالِق والمخلوق فِي كائنٍ واحد، فالسبب عين المسبَّب، وهذا مستحيل؛ بل هو من التهافت والتناقض بحيث لا يحتاج إِلَى بيان ولا إقامة برهان.

فالطبيعة بكلِّ معانيها لا يمكن أن توجَد بنفسها من نفسها؛ لأن الشيء لا يخلقُ نفسه؛ لِأَنَّهُ قبل وُجُوده معدومٌ؛ فكيف يكون خالقًا؟!

الملحد:

ولكنْ يمكن أنْ يقال: إن الصدفة هي التي خَلقت الخَلق، وأوجدته.

المؤمن:

الصدفة تتطلب أزمنةً وأمكنة معينة لتحدُث فيها، ومن البدهيّ أنّ حدوث صدفة في العدم -أي قبل الزمان والمكان- شيءٌ لا يُعقَل بأيّ نحو، إذ كيف تحدث صدفةٌ في اللازمان واللامكان! إضافة إلى كثيرٍ من الإشكالات المنطقية النابعة عن تفسير وجود الكون المنظّم بأنه نتاج صدفة عشوائية عمياء.

افترض أنك في غرفةٍ تحتوي على حاسوبٍ آليٍّ، وقررتَ أن تلقي كرةً مطّاطية صغيرة داخلها، فما احتماليةُ أن تقفز الكرة على لوحة المفاتيح لتكتب كلمة مفيدة؟ والجواب أنّ احتمالية ضئيلةٌ بكل تأكيد

ولكن إذا قمنا بتوسيع النطاق إلى كتابة جملةٍ مفيدة فستتضاءل الاحتمالية بنحوٍ أكبر وهكذا، فإن مسألة الصدفة تخضع لتحليلٍ رياضياتي وحسابِ احتماليّات، حيث تزيد صعوبة حدوث الصدفة كلما ازدادت الوظيفة المطلوب تنفيذها تعقيدًا.

فالكون يحتوي على نظامٍ ودقة في قوانينه، فكيف للعشوائية أن تنشئ الدقة؟ وفيه القصد ومعنى الأشياء، فكيف للعبثيّة أن تفصح

عن معنى؟ وفي الكون غايةٌ وهدف، فكيف للّاغاية أن توجد الهدف؟

إذًا، لا يمكن أن توجِد الصدفةُ هذا الكون، وتخلق هذا الخلق؛ لأن كل حادث لا بدّ له من محدِث؛ ولأن وُجُود الكون والخلق على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط المتلاحم بين الأَسْبَاب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض؛ يَمنعُ منعًا باتًّا أن يكون وُجُودها صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس على نظامٍ فِي أصل وُجُوده؛ فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجَد هذه المخلوقات من نفسها، بمعنى أن توجِد نفسها، ولا أن توجَد صدفة؛ فقد تعيَّن أن يكون لها موجِد، وهو الله رب العالمين.

وعلاوة على ذلك، فالناس مفطورون على التعبُّد لمعبودٍ معيَّن، وعند النفس البشرية حاجة ذاتية إلى إلهٍ تعبُده، ومعبودٍ تتعلَّق به، وتسعى إليه، وتعمل على مرضاته، وجميع الأمم التي درس العلماء تاريخها تجدها اتّخَذت معبودات تتّجه إليها وتقدِّسها، مما يدلُّ على وجود اتجاهٍ فطري إلى أن يكون هناك إلهٌ معبود.

الملحد:

إن اعتناق الناس أديانًا مختلفة يُظهر عدم وجود اتفاقٍ واضح حول الله.

المؤمن:

إذًا، أنت تقرُّ أنّ التعبُّد لمعبود معيَّن حاجةٌ فطريّة عند النفس البشرية، ولكن أُشكِل عليك أن بعض الناس لم تهتدِ إلى المعبود الحق، فذلك -أيْ عدم اهتداء بعض الناس- إنما هو بسبب وجود مؤثِّرات تجعلهم ينحرِفُون عن الفطرة السليمة، فإنهم يُعبِّدُون أنفسَهم لأيِّ معبودٍ آخر؛ ليشبعوا في ذلك نهمَهم إلى العبادة، وذلك من قبيل مَن استبدّ به الجوع، فإنه إذا لم يجد الطعام الطيِّب الذي يناسبه فإنه يتناول كلَّ ما يمكن أكله، ولو كان خبيثًا، ليسدّ به جوعه.

إذًا، هذا الاختلاف سببه فهْم الناس وتأثير الثقافة والتربية، ولكنْ في النهاية يُعتقد بإلهٍ واحد عبر مختلف الديانات، وبهذا يتأكد لنا أنّ الإلحاد حالةٌ شاذّةٌ في المسار الطّبيعيّ للإنسان، والأديان هي الحالة الطّبيعيّة المرافقة للإنسان في طول تأريخه.

النتيجة:

١ – العلم لا يجيب على سؤال أصل الكون.

٢ – الدليل العقلي يثبت وجود الله.

٣ – الطبيعة والصدفة لا يمكن أن يخلقا كونًا منظمًا.

٤ – وجود خالق للكون هو أمر حتمي.

٥ – الفطرة البشرية تدعو إلى الإيمان بالله.

إذًا، الإيمان بالله سبحانه هو الحالة الطبيعية للإنسان، بينما الإلحاد حالة شاذّة.

الحوارية الرابعة

الغاية من الخلق

مقدمة

يتناول هذا الحوار نقاشًا بين ملحد ومؤمن حول سؤال "ما مصلحة الله في خلق الخلق؟"، حيث يطرح الملحد وجهة نظره بأن الله -حالة كونه حاكمًا- مستبد يمارس سلطته على الرعية، بينما يثبت المؤمن أن الله خالق رحيم وفضله عظيم.

ويناقش الحوار -أيضًا- طبيعة التكاليف الشرعية، هل هي ناتجة عن حاجة الله أم فضل منه؟ كما يتطرق إلى موضوع عبادة الله، هل تنفع الله أو العبد؟

ويسعى الحوار إلى إيجاد إجابة لسؤال الحكمة في خلق الله للخلق، من تحليل صفات الله وكماله.

وفي النهاية، يخلص الحوار إلى أن خلق الله للخلق من مقتضيات صفاته وكماله، وأن الله لا ينتفع من عبادة خلقه، بل هم المنتفعون.

نقاط النقاش:

- هل الله بحاجة إلى خلق الخلق؟
- هل يحتاج الله إلى عبادة الإنسان، أو أن العبادة تفيد العبد فقط؟
- ما الفائدة من عبادة الله إذا كان لا يحتاج إلى عباده؟
- ما الغاية من الوجود؟

الغاية من الخلق

الملحد:

ما مصلحة الإله في أن يخلق الخلق؟

المؤمن:

الإشكال الأساس المرتبط بهذا السؤال هو أنك تتصور الإله كحاكمٍ لا يرضي غرورَه إلا أن يمارس سلطته على الرعية.. سلطان مستبد تحيطه الجواري، ويرتدي التيجان، وبيده الصولجان، ويتلذذ بالتحكم في شعبه والسيطرة عليه.

وامتدادًا لهذا التصور المعلول تظن أن هذا الإله لا يطلب من الناس طلبًا إلا كما يطلب الإنسان طلبًا، إما لاستكمال نقصٍ في نفسه أو لتغطية احتياجٍ بداخله.

الملحد:

أليس كل أمر ونهي مردهما إلى الحاجة؟

المؤمن:

التكاليف التي فرضها الله على عباده ليست ناتجة عن حاجة لاستكمال نقص أو سد ثغرة، بل هي محض فضلٍ من الله سبحانه وتعالى، والحقيقة أن غواية أهل الأرض جميعًا لا تضر الله شيئًا، كما قال موسى (عليه السلام): ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]، وعبادته - عز وجل - لا تنفع إلا العبد نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

الملحد:

فكيف إذن يطلب الله من البشر عبادته، وهو لا يحتاج إليهم؟

المؤمن:

عندما ننظر في عالمنا البشري، نجد أن الطلب لا يدل بالضرورة على النقص لدى الطالب، فالطبيب يمكن أن يطلب من المريض فتح فمه لإعطائه الدواء الذي لا يحتاجه الطبيب نفسه، والغنيّ يمكن أن يطلب من الفقير أن يمد يده ليقدم له صدقة لا يستفيد منها الغني، والمعلم يمكن أن يطلب من التلميذ مذاكرة الدرس لصالح التلميذ نفسه، وليس لمصلحة المعلم.

---

(١) إبراهيم: ٨.

(٢) فاطر: ١٨.

فالطلب لا يكون بالضرورة لصالح الطالب، وإنما يكون في صالح المطلوب منه، ولله المثل الأعلى، فإن الله سبحانه إنما أمر خلقه بالعبادة، ليُصلح بها حالهم، ويزيل الفساد منهم، ويجعلهم سعداء في الدنيا والآخرة.

الملحد:

إذا اتفقنا أن العبادة لا تنفع الله، ولا تضره في شيء، وأن التكليفات الشرعية هي لصالح الخلق، فما الحكمة في خلق الخلق ابتداءً؟!

المؤمن:

ضع في علمك أنَّ الشمس المضيئة تقتضي إشراق نورها على ما حولها دون حاجة منها لذلك، وكمال الله أولى أن يكون ظهور آثاره على مخلوقاته، وهذا الظهور هو من مقتضيات كماله لا من حاجته إلى غيره، فإنه سبحانه يتصف بكل صفات الكمال، ومن كماله أنه مستحق للعبودية دون سواه.

فمقتضى صفة الخلق أن يخلق، ومقتضى صفة الرحمة أن يرحم، ومقتضى صفة الوهاب أن يهب، فصفات الله تقتضي ظهور آثارها، لا لحاجةٍ منه سبحانه لهذه الآثار، ولكنْ لأنَّ كمال الله يترتب عليه ظهور آثاره في مخلوقاته.

فمن صفاته الرحيم، فمن يرحم إن لم يكن ثَمَّة مخلوق؟!

ومَن صفاته الرزاق، فمن يرزق إن لم يكن ثَمَّة سائل؟!

ومن صفاته الغفور، فلمن يغفر إن لم يكن ثَمَّة مُستغفِر؟!

ومن صفاته التواب، فعلى من يتوب إن لم يكن ثَمَّة تائب؟! وهكذا، وهذا معنى أن صفات الله تقتضي ظهور آثارها، كما الشمس المضيئة التي يقتضي إشراق نورها على ما حولها دون حاجة منها لذلك.

النتيجة:

١- عبادة الله لا تنفع إلا العبد نفسه.

٢- الطلب لا يدل بالضرورة على النقص لدى الطالب.

٣- التكاليف التي فرضها الله على عباده ليست ناتجة عن حاجة، بل هي فضل منه، لصلاح حالهم وسعادتهم.

٤- صفات الله تقتضي ظهور آثارها، لا لحاجةٍ منه، بل لِكمالِه.

الحوارية الخامسة

رحمة اللّه لا تشمل غير المسلمين والمؤمنين به

مقدمة

يُثير هذا السؤال نقاشًا عميقًا حول طبيعة الجنة وثواب الأعمال في الإسلام. وينطلق الملحد من مبدأ أن الأعمال الصالحة كافية لضمان الجنة، بغض النظر عن الإيمان. بينما يرى المؤمن أن الإيمان بالله شرط أساس لدخول الجنة، وأن الأعمال الصالحة تُكمل هذا الشرط.

نقاط النقاش:

- هل يُمكن لغير المسلمين أن ينالوا ثوابًا على أعمالهم الصالحة؟
- أليست الأعمال الصالحة هي المعيار الحقيقي للحكم على الإنسان؟
- كيف يُمكن تفسير آية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في سياق آيات أخرى تحدد فئة معينة من الناس لدخول الجنة؟
- أين تكمن عدالة الله في عدم مكافأة مثل غير المؤمنين على أعمالهم الصالحة؟
- لماذا يُحرم غير المؤمنين من رحمة الله وجنته؟

رحمة الله لا تشمل غير المسلمين والمؤمنين به

الملحد:

كيف يمكن للطبيب الذي أنقذ ملايين الأرواح أن يكون من أهل النار، وألا يُكافأ بالجنة، فقط لأنه لا يؤمن بالله؟! وكيف لذلك الممثل الذي كفل عشرات الأسر والأيتام ألا يدخل الجنة؟! أليس كتابكم المقدس (القرآن) يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾..؟

المؤمن:

لو أكملت قراءة الآية بتمامها لما استشهدت بها في سياق كلامك، فتتمة الآية تحدد الرحمة الإلهية على فئةٍ معينة من الناس، تقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وتأتي بعدها مباشرة آية أخرى، تبيّن ماهية هؤلاء الداخلين في رحمة الله، فتقول بأنهم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

(١) الأعراف:١٥٦.

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فهذه الآية واضحة في حصر الرحمة الإلهية على فئة واحدة من الناس، وهم أتباع الرسول المؤمنون برسالته.

الملحد:

إذًا، فإن إنقاذ الملايين من قبل الطبيب عملٌ لا يرضي الإله، وكفالة الممثل لعشرات الأيتام والأسر لا ترضيه أيضًا، فإذا لم يستحقَّ أمثال هؤلاء الجنة، فمن غيرهم يكون أحق؟! الأمر يبدو غريبًا وغير منطقي.

المؤمن:

لنتخيل أن هناك طالبًا يذهب إلى إحدى أكبر جامعات العالم، وبدلًا من الانضمام إلى صفوفها بطريقة رسمية، يقرر شراء الكتب والبحث عن الشروحات عبر الإنترنت حتى يتقن المنهج، ويحكمه، كأنه طالب في تلك الجامعة، هكذا يمضي حياته طوال سنوات دراسته.

والسؤال هو: هل سيحصل على شهادة التخرج من هذه الجامعة؟ وهل سيُعترف به معيدًا فيها، وهو مع كل المعرفة التي

(١) الأعراف:١٥٧.

اكتسبها؟ بالطبع، سيكون الجواب: لا؛ لأنه لم يتبع الشرط الوحيد الذي وضعته الجامعة لنيل استحقاقه المطلوب، وهو أن يكون طالبًا بصفة رسمية في الجامعة!

ولنتخيل -أيضًا- أن شخصًا ما قرر أن يعمل عملًا تطوعيًّا في مصنع، وهو غير مسجل بكشوفات موظفيه، فسيجد نفسه في نهاية الشهر غير مستحق لأي استحقاق مالي؛ لأن إدارة المصنع لن تعترف به، والسبب ليس لأنه لم يكن جادًّا في عمله أو لأنه تقاعس عنه، بل لأنه لم يتبع الشرط الوحيد الذي وضعه المصنع لنيل الاستحقاق المطلوب، وهو أن يكون مسجلًا في كشوفات المصنع.

فمن فتح المستشفيات، وأنقذ الأرواح، وكفل اليتامى، وأفاد البشرية بعلوم جمة، إنما فعل ذلك لأجل البشرية، أو لأجل إله آخر غير الله الذي يعبده المسلمون، فلماذا ينتظر ثوابه من الله، وقد وهب عمله لغير الله، ولم يكن من المسلمين؟!

فما قدمه من بناء مستشفيات أو كفالة أيتام فهو إما للبشرية أو لإله آخر مع الله، أو لإله غيره بالكلية، لهذا سيكون من العدل أن ينال هذا الطبيب أو الممثل ثوابه وجنته من البشرية، ولا يحق له أن يطالب بالجنة التي وعد الله بها عباده للمسلمين المؤمنين به، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ

الْفَـوْزُ الْعَظِيـمُ﴾[1].

النتيجة:

١ - رحمـة الله تشـمل الجميـع، لكنهـا مشروطـة بالإيـمان بـالله واتبـاع الرسـول.

٢ - الآيـة ١٥٧ مـن سـورة الأعـراف حـددت رحمـة الله بالذيـن يتقـون، ويؤتـون الـزكاة، ويؤمنـون بآيـات الله.

٣ - الأعـمال الصالحـة لا تكفـي لدخـول الجنـة، بـل يجـب الإيـمان بـالله واتبـاع الرسـول.

٤ - مـن يقـوم بأعـمال خيريـة لأجـل البشريـة أو إلـه آخـر غـير الله، لا ينتظـر ثوابـه مـن الله.

(١) التوبة: ٧٢.

الحوارية السادسة

لماذا لم يستشرني الإلهُ قبل أن يخلقني؟!

مقدمة

يُطرح سؤال "لماذا لم يستشرني الإله قبل أن يخلقني؟!" من قبل بعض الملحدين كاعتراض على وجود الله، حيث يرى الملحدون أنّه من حقّهم أن يُستشاروا قبل خلقهم، وأنّ عدم استشارتهم يدلّ على عدم عدالة الإله.

وفي هذه المحاورة، سيناقش المؤمن مع الملحد هذا السؤال، وسيُبيّن له أنّ الاستشارة أو التخيير قبل الخلق غير ممكنين، وأنّ الله منزّه عن النقص والعبث، كما سيتحدّى الملحد أن يقتل نفسه إذا كان يعتقد أنّ العدم أفضل من الوجود.

نقاط النقاش:

- هل من حق المخلوق أن يعترض على خالقه؟
- هل الاستشارة أو التخيير قبل الخلق ممكنان؟
- هل العدم أفضل من الوجود مع المعاناة؟

لماذا لم يستشرني الإلهُ قبل أن يخلقني؟!

الملحد:

لماذا لم يستشرني الإله قبل أن يخلقني؟! أ لستُ حرًّا مختارًا؟

المؤمن:

إذًا، أنت تعتقد بأن لك خالقًا، إلا أنك تعترض عليه بعدم استشارتك، والجواب عن ذلك في شقَّين:

الأول: من البدهيّ والضروريّ أنْ تدرك الفرق بين الخالق والمخلوق، فهذا الفرق لا يؤهلك للاعتراض على الخالق في أفعاله في خلقه أصلًا، فأنت تعطي نفسك الحقَّ في ما لا حقَّ لك فيه، ألا وهو مساءلة خالقك والاعتراض عليه، دون مراعاة للفرق البدهي الحاصل بين حال الخالق وحال المخلوق، فتتوصل لنتيجة باطلة -بناءً على ذلك الحق المزعوم- وهي أنَّ الإله غير عادل؛ لأنَّه لم يستشرك في خلقك، وهي نتيجة باطلة مبنية على مقدمة خاطئة، والمنطق الصحيح يقتضي أنَّ إله الأكوان لا يستشير، وهذه سنة كونية؛ لأنَّه الملك، ومنذ متى يستشير الملك عبيده فيما يريده، ويأمرهم به؟

ولماذا لا تطبق هذه الفكرة على نفسك، لِمَ لمْ تعترض على والديك، وتسألهم عن عدم استشارتهم لك قبل الحمل والولادة؟!... فاعتراضك مخالف للمنطق وللواقع.

الثاني: هذا السؤال ليس منطقيًّا ولا ممكنًا؛ لأن الاستشارةَ في حقّ الله -جلّ وعلا- محالةٌ؛ لأنّه منزّه عن النّقص والقصور والاحتياج إلى رأي أحدٍ من خلقه، فحقيقة الاستشارة هي طلبُ الرّأي ممّن هو أهل له، وتتضمّن معنى الاحتياج إلى الآخر، وهذا الاحتياج هو نوعٌ من النّقص، إذ يسعى المستشير لسدِّ فجوات نقصه العقليّ بجمع آراء الآخرين مع رأيه.

الملحد:

أليس من حقي على الإله أن يستشيرني قبل أنْ يخلقني في هذه الدنيا التي تضمّ كل المصائب والآلام والصعوبات؟!

المؤمن:

اعتراضك كيفما افترضناه يتناقض مع العقل والمنطق، فالخلل فيه من جانبين:

١ - إذا افترضنا أن الإله استشارك عن خلقك، فهذا يعني أنك موجود ومخلوق وقت الاستشارة، وإلا كيف يستشيرك إذا كنت تريده أن يخلقك أم لا، وأنت عدم محضٌ، لا وجود لك؟ ولا استشارة لأحد إذا لم يكن موجودًا ومخلوقًا.

٢- إذا استشاركَ بعد أن يخلقكَ لما كان إلهًا أصلًا؛ لما ذكرناه من أن الاستشارة تتضمّن معنى الاحتياج إلى الآخر، وهذا الاحتياج هو نوعٌ من النّقص.

الملحد:

إذا كانت الاستشارة تستلزم ما ذكرته، إذًا، سأستبدلها بالتخيير، فأقول: لماذا لم يخيّرني الإله قبل أن يخلقني؟!

المؤمن:

سؤالك هذا يحمل في بنيته تناقضًا يقود إلى نقضه من الأصل، فمتى يخيّرُك؟! هل يخيّرُك، وأنتَ عدَمٌ قبلَ أن تُخلَق، أو يخيّرُك بعدَ أن خلقك؟!

وجوابه هو الجواب نفسه في ما لو استشارك الإله قبل الخلق، فالتخيير قبل الخلق متعذّرٌ؛ لأنّكَ لم تكن موجودًا لتختار، وأمّا بعدَ الخلق، فما فائدة التخيير، وقد انتهى الأمر وأوجدك؟!!

ولو خيّرك بعدَ أن أوجدكَ لكان هذا التّخيير نوعًا من العبث، والله سبحانه منزّهٌ عن العبث، فلو مارس العبث لما كان إلهًا حكيمًا.

الملحد:

لكنّ حالنا في العدم يبدو أفضل من حالنا في الوجود مع المصائب والمعاناة والآلام!!

المؤمن:

هـذا خطـأ فلسـفيٌّ سـاذج، فالعـدم هـو نقيـض الوجـود، ومجـرد مفهـوم ذهنـي اعتبـاري، وليـس لـه وجـودٌ حقيقـيٌّ في الواقـع، فـكل الأحـوال والصفـات الوجوديـة مـن نحـو الخـير والـشر والراحـة والعـذاب، لا تنطبـق عليـه أصـلًا، بـل تنطبـق فقـط عـلى الـذوات الوجوديـة، فالمعـدوم لا يمتلـك ذاتًـا ليتأثـر بـأيٍّ مـن الحـالات المذكـورة وغيرهـا.

الملحد:

عـلى رغـم مـا ذكرتـه لي، فـإن العـدم أفضـل؛ لأن الدنيـا شرٌّ لا يُطـاق!!

المؤمن:

بعـد أن أثبـتُّ لـك أن التخيـير والاستشـارة محـالان قبـل الخلـق والإيجـاد، في أن كلا الأمريـن فيهـما معنـى الاحتيـاج إلى الآخـر، وهـذا الاحتيـاج هـو نـوعٌ مـن النّقـص، وأن الإلـه منـزَّه عـن النقـص قطعًـا، الآن سـأجاريك، وأسـلِّم لـك جـدلًا أنـه بعـد خلقـك قـام بتخيـيرك، فـإذا كنـت تعتقـد أن العـدم -كـما تزعـم- أفضـل، وأن شر هـذه الدنيـا غالـب، ولا يُطـاق، وقـررت العـدم، إذًا، فاذهـب، واقتـل نفسـك فـورًا إن كنـت صادقًـا، وفـرّ مـن هـذه الدنيـا؛ فهـي شر محـض!!

الملحد:

لا جواب.

المؤمن:

إن اعتراض الملحد بهذا السؤال يستحيل أن يحقق له هدفه، وهو نسبة العبثية في الخلق إلى الخالق (تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا)؛ وذلك لأنه قد وقع في فخ التناقض الذاتي، فأسقط هدفه بنفسه.

النتيجة:

١ - لا يحق للمخلوق مساءلة خالقه.

٢ - الاستشارة محالة على الله.

٣ - التخيير قبل الخلق ممتنع.

٤ - التخيير بعد الخلق عبث.

٥ - العدم ليس أفضل من الوجود.

الحوارية السابعة

الكافر لم يعصِ الله إلا مدةً قصيرة، فكيف يخلد في النار؟!

مقدمة

يطرح الملحد تساؤلًا حول تناقض خلود الكافر في النار مع عدل الله، مقارنًا ذلك بمدة حياته المحدودة في الدنيا، بينما يثبت المؤمن بأسلوب منطقي وعقلاني أنّها عادلة لارتباطها بسلوك الكافر وتداعياته، ويُسلط الضوء على مفهوم "علاقة السبب والنتيجة" لبيان عدم ارتباط مدة العقوبة بمدة المعصية، ويستشهد بأمثلة واقعية من الحياة اليومية لتقريب المعنى وإثراء الحوار.

نقاط النقاش:

- هل عقوبة الكافر في النار أبدية؟
- هل يتناقض الخلود في النار مع عدل الله؟
- ما العلاقة بين العقاب وارتكاب الجرم؟
- ما حكمة الله في معاقبة الكافر عذابًا أبديًّا؟

الكافر لم يعصِ الله إلا مدةً قصيرة، فكيف يخلد في النار؟!

الملحد:

جاء في كتابكم المقدس (القرآن): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[1].

فكيف يُعقل أن يعذب الكافر عذابًا أبديًّا لمجرد معصيةٍ استغرقت منه مدة زمنية محدودة في الدنيا؟! أ لا يعدّ هذا تناقضًا مع عدل الله؟!

المؤمن:

كذلك جاء فيه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[2].

فهل ستعترض، وتقول: كيف يُعقل أن يُدخل الله المؤمن جنة أبدية لمجرد طاعة استغرقت منه مدة زمنية محدودة في الدنيا؟!!

---

(١) [التوبة:٦٨].

(٢) النساء:٥٧.

الملحد:

لكنْ أنا لا أؤمن بمبدأ عقوبة الكافر وخلوده في النار لمجرد معصيةٍ استغرقت منه مدة زمنية محدودة في الدنيا!!

المؤمن:

أساسًا أنت لا تؤمن بوجود إله خالق لهذا الكون، ولا بوجود جنة أو نار، فما الذي يدفعك للانشغال بهذا السؤال؟! هل الخوف من العقاب الأبدي هو ما يُقلقُك؟!

الملحد:

أجبني عن سؤالي، ولا شأن لك بقلقي أو خوفي!!

المؤمن:

إذًا، أنت خائف من العقاب الأبدي، الأمر الذي دفعك لطرح هذا السؤال، ولك عليّ حق الجواب والبيان، فأقول:

صحيحٌ أنّ الكافر لم يعصِ الله إلا مدة قصيرة بسبب محدوديّة ذنبه وعمره، لكنه كان يبيِّت النية بإصرارٍ شديد على أنْ لا يقلع عن ارتكاب الظلم والفساد ما دام موجودًا في الدنيا، فاستحق بذلك الخلود الأبديّ في النار، وقد أشار القرآن الكريم إلى سبب خلود الكفار في العذاب، بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[1].

(١) الأنعام:٢٨.

الملحد:

هـذا الـكلام لا يـبرر عقوبـة الكافـر بمـدة زمنيـة تضاهـي عمـره المحـدود في الدنيـا؟!

المؤمن:

لا تتعجَّـل فالبيـان آتٍ: ضـع في علمـك أنّ العلاقـة بـين العقـاب والعمـل ليسـت علاقـة زمنيـة بحتـة، بـل هـي علاقـة سـبب ونتيجـة، أي أنـه يرتبـط بالسـلوك وتداعياتـه.

الملحد:

ماذا تعني بـ "علاقة سبب ونتيجة"؟

المؤمن:

بـما أنـك ملحـد -ومعلـوم أن الملحـد مـادي، أي لا يؤمـن إلا بـما يـراه ومـا هـو محسـوس- سـأشرح لـك ذلـك ببعـض الأمثلـة الواقعيـة لتقريـب المعنـى (ولله المثـل الأعـلى)، بعـد ذلـك نـرى هـل إن العقـاب الأبـدي، أو الـذي تطـول مدتـه عـلى جُـرمٍ محـدودٍ يعـدّ مناقضًـا للعـدل:

١ - لنفـترض أن شـخصًا تعمّـد إحـراق منـزل تسـكنه عائلـةٌ مكونـة مـن بضعـة أفـراد، ممـا تسـبب في إتـلاف الممتلـكات وتعريـض حيـاة هـذه العائلـة للخطـر، فهـل يُعاقـب هـذا الشـخص عـلى المـدة الزمنيـة التـي ارتكـب فيهـا جريمتـه؟ لا، بـل يُعاقـب عـلى خطـورة الجريمـة وتداعياتهـا،

وقد يُحكم عليه بالسجن مدى الحياة، مع أنّ المدة الزمنية التي استغرقها في ارتكاب جريمته لا تزيد على ساعتين..

فهل سمعت مُعترضًا يقول: إن هذه العقوبة ظلم؛ لأن المدة الزمنية التي وقع فيها الحادث قصيرة مقارنة بمدة العقوبة؟!

٢ - لنفترض أيضًا أنّ شخصًا اعتدى جسديًّا على شخص آخر في مكانٍ عام، مما أدى إلى إصابة الضحية بجروحٍ خطيرةٍ، تتطلب عملية جراحية وعلاجًا طويلًا للشفاء، فهل يُعاقب الشخص الجاني على مدة زمن الاعتداء الفعلي؟ لا، بل يُحكم عليه بناءً على خطورة الاعتداء وآثاره على الضحية، ونتيجة لذلك قد يُحكم على الشخص الجاني بالسجن مدة طويلة بناءً على خطورة الاعتداء والإصابات التي تكبدتها الضحية.

فهل من عاقل يقول: إن هذا ظلم؛ لأن الجاني استغرق في ارتكاب جريمته مدة زمنية لا تتجاوز عشر دقائق، فكيف يعاقب بالسجن سنة أو سنتين؟!

فهذه الأمثلة الواقعية توضِّح أن العقوبة تتعلق بالتصرف الخاطئ والآثار التي تترتب عليه، وليس بالزمن الذي قضاه الشخص في ارتكاب جنايته وجرمه.

إذًا، تحديد العقوبة يكون بناءً على العلاقة بين السبب (سلوك الشخص) ونتيجته (الآثار التي يخلفها ذلك السلوك).

أجبني الآن: كيف يُعقل أن يُعاقب المجرم بالمدة الزمنية التي ارتكب فيها جريمته؟ فلو دهس شخصًا في مدة خمس دقائق فهل يُحكم عليه بالحبس خمس دقائق، ولو أحرق منزلًا مأهولًا في مدة ساعة فهل يُحكم عليه بالحبس مدة ساعة، ولو اعتدى جسديًا على شخص في مدة عشر دقائق فهل يحكم عليه بالحبس عشر دقائق؟ أ لا يعدّ هذا ظلمًا يتناقض مع مفهوم العدل؟!

الملحد:

لا جواب!!

النتيجة:

١ - أنّ العلاقة بين العقوبة وارتكاب الجرم، هي علاقة سبب ونتيجة.

٢ - أن العقوبة مرتبطة بخطورة الجرم وتداعياته، لا بمدته الزمنية.

٣ - أنّ الكافر ممن يبيِّت النية على الاستمرار بالفساد، لذلك استحق الخلود في النار.

الحوارية الثامنة

عدمُ التمييز بين الصواب والخطأ ينفي وجود إلهٍ خالق!!

مقدمة

من بين الإشكاليات التي يطرحها الملحدون هي أن عدم قدرة الإنسان على التمييز بين الصواب والخطأ يقتضي نفي وجود إلهٍ خالق.

في هذه المحاورة، يناقش المؤمن والملحد هذا الموضوع، يبدأ الملحد بالزعم بأنّه لا يوجد شخصٌ قادر على تحديد الصواب من الخطأ، ولو بنحوٍ نسبيّ، وذلك لعدم وجود وعيٍ مطلق يُمكّن من ذلك.. فيثبت المؤمن أنّ طرح الملحد ينطوي على الدحض الذاتي، أي يدحض نفسَه ذاتيًّا، ويناقض نفسه بنفسه، فإذا كان الملحد يزعم أنّ جميع البشرية غير واعية، فهذا يعني أنّه غير قادر على تحديد الصواب من الخطأ، ولو نسبيًّا، ولا يملك وعيًا ولو نسبيًّا.

ويُثير المؤمن تساؤلًا حول إمكانية استمرار النقاش بعد إثبات تناقض طرح الملحد.

نقاط النقاش:

- هل البشرية بنحو عام تُعدّ غير واعية؟
- هل طرح الملحد ينطوي على الدحض الذاتي؟
- كيف يناقض طرح الملحد نفسه بنفسه؟
- هل إن إثبات التناقض في طرح الملحد يمنع استمرار النقاش؟

عدمُ التمييز بين الصواب والخطأ ينفي وجود إلهٍ خالق!!

الملحد:

إنّ قضية إثباتكم لوجود إله خالق للكون في الحقيقة هي كذبٌ محضٌ، حيث لا يوجد شخصٌ قادر على تحديد الصواب من الخطأ ولو بنحوٍ نسبيّ؛ لأنّه لا أحد يمتلك الوعي الذي يُمكّنه من ذلك، فكلّ البشرية غير واعية.

المؤمن:

هل تقصد بكلامك هذا أنّه:

- لا يوجد شخصٌ له القدرة على تحديد الصواب من الخطأ، ولو نسبيًّا.
- الوعي في تحديد الصواب والخطأ غير متاح لأيّ شخص.
- أنّ البشرية بنحو عام تُعدّ غير واعية؟

الملحد:

نعم، هذا ما أقصده.

المؤمن:

الآن، افترض أنّك نزلت قرية، وقابلت رجلًا من أهلها، وقال لك: أودّ أن أخبرك بأمر، وأريد منك أن تصدقني: -أنّ أهل هذه القرية كلهم يكذبون، فلا تصدق أحدًا منهم-!! فهل ستصدقه؟

من المؤكد أنك لا تصدقه، لماذا لا تصدقه؟ لأنّه واحد من أهل تلك القرية التي أخبرك عن أهلها بأنّهم جميعهم يكذبون، فلا تصدق أحدًا منهم، وهو كاذب مثلهم.

الملحد:

ما علاقة هذا الأمر بما طرحته عليك؟ هل أعتبرُه هروبًا من الإجابة؟!

المؤمن:

لا، لا ليس هروبًا من الإجابة، بل أجبتك بضرب المثال، ولكنك في غفلةٍ عن ذلك، بأن طرحك مشتمل على الدحض الذاتي، أي يدحض نفسَه ذاتيًّا، ويناقض نفسه بنفسه.

الملحد:

كيف أنّ طرحي مشتمل على الدحض الذاتي؟

المؤمن:

بدأتَ بالزعم بأنه لا يوجد شخصٌ قادر على تحديد الصواب من الخطأ مطلقًا، وذلك لعدم وجود وعيٍ يُمكّن من ذلك، وأن جميع البشرية غير واعية.

ونحن لا نُكذّبك في ما زعمت، بل نصدِّقك، ولا نقبل بطرحك؛ لأنك واحد ممن لا يمتلك الوعي ولو نسبيًّا، ولا يمكنك تحديد الصواب من الخطأ ولو نسبيًّا!!

وعليه، فما طرحتَه أنت إنما تخبرنا فيه بعدم صدقه ولو نسبيًّا، فالنقاش الذي بيني وبينك هو عينه النقاش الذي جرى بين الذي نزل قريةً، فأخبره واحد من أهلها بأنّ جميع أهل القرية يكذبون، فلا تصدقهم مع أنه من أهلها، فلزم أن يصدقه في أنه كاذب باعتباره واحدًا من أهل تلك القرية، وكذلك لزم أن نصدقك في زعمك، كونك واحدًا من البشرية في أنك غير قادر على تحديد الخطأ من الصواب، ولا تملك وعيًا ولو نسبيًّا.. هذا هو الدحض الذاتي، فقد ناقضت نفسك بنفسك، ودحضت زعمك بنفسك!

الملحد:

وهل هذا برأيك يمنع من استمرار النقاش؟!

المؤمن:

كيف أستمر في النقاش معك، وقد أثبتّ بنفسك أن كلامك خطأ بنفيك أن يكون هناك شخص يمتلك القدرة على تحديد الصواب من الخطأ، ولو نسبيًّا، فيكون رأيك كله لا يساوي عندنا جناح بعوضة ولا حجة لك فيه إلا وهمك الخاص.

الملحد:

لا جواب.

النتيجة:

أن زعم الملحد غياب التمييز بين الصواب والخطأ يجعله كاذبًا، ممّا ينفي صحة زعمه؛ إذ من طرحه ينفي قدرته على تمييز الصواب من الخطأ، ممّا يُشكّل دحضًا ذاتيًّا لزعمه، وبالنتيجة لا قيمة لإشكاله؛ لعدم قدرته على إثباته أو نفيه.

الحوارية التاسعة

المؤمنون يدعون اللّه فلا يستجيب لهم

مقدمة

يُجادل الملحد بأن عدم استجابة الله سبحانه لدعاء المؤمنين يُعدّ دليلًا قاطعًا على عدم وجوده، فلو كان الله موجودًا بالفعل لكان قد استجاب لدعوات المؤمنين، الذين يُخلصون له العبادة، ويبتهلون إليه.

ويُؤكّد المؤمن على أن هذا القياس خاطئٌ في جوهره، وأن عدم استجابة الله سبحانه لدعاء المؤمنين لا يُشكّل دليلًا على عدم وجوده، وأن هناك العديد من العوامل التي قد تمنع من استجابة الدعاء، وأن الله سبحانه وتعالى حكيمٌ في أفعاله، ويعلم ما فيه خيرٌ للمؤمنين.

نقاط النقاش:

- هل ادّعاء عدم استجابة الله لدعاء جميع المؤمنين صحيحٌ؟
- هل يمكن استنتاجُ عدم وجود الله من عدم استجابته لدعاء المؤمنين؟
- ما الأسباب التي قد تمنع من استجابة الله لدعاء المؤمنين؟
- كيف نفهم وعدَ الله بالإجابة على الدعاء؟
- هل وعَد اللهُ بإجابة الدعاء بنحوٍ مطلق؟
- ما النتائجُ العبثيّة التي تترتَّب على ربط وجود الله باستجابة دعاء المؤمنين بنحوٍ مطلق؟

المؤمنون يدعون اللهَ فلا يستجيب لهم

الملحد:

كتابكم المقدس (القرآن) يقول للمؤمنين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ والمؤمنون يدعون الله، فلا يستجيب لهم، ومن ثَم فالله غير موجودٍ، ولو كان موجودًا لاستجاب لهم!! والإله الذي لا يستجيب لك مهما كان وكيفما كان غيرُ موجود!!

المؤمن:

لا يمكن استنتاج عدم وجود الله من هذا القياس؛ لأنه يعتمد على مقدمات فاسدة، ومعلوم بالضرورة أن ما يُبنى على الفاسدِ فاسدٌ لا محالة.. حيث بنيتَ قياسك على مقدمتين ونتيجة، وبيان ذلك:

المقدمة الأولى: المؤمنون يدعون الله، فلا يستجيب لهم.

المقدمة الثانية: لو كان الله موجودًا لاستجاب لهم.

النتيجة: الله غير موجود.

فالمقدمة الأولى فاسدة والثانية كذلك، إذن النتيجة فاسدة؛ لأن ما يُبنى على فاسدٍ، فهو فاسدٌ لا محالة.

الملحد:

لماذا لا يمكن استنتاج عدم وجود الله من عدم استجابته لدعاء المؤمنين به، فلو كان موجودًا -كما تزعمون- لاستجاب لهم!!

المؤمن:

لفساد المقدمة الأولى (المؤمنون يدعون الله فلا يستجيب لهم)، ويتضح ذلك من السؤال الآتي:

هل قمت بجولة حول العالم، وتحدّثت مع مئات الملايين من المؤمنين، واحدًا تلو الآخر، فأخبروك بأنهم يدعون الله، فلا يستجاب لهم، ثم استنتجت من ذلك أن الله غير موجود؟!

الملحد:

إن ذلك مستحيل!!

المؤمن:

فإذا لم تقم بذلك، فكيف تثبت لنا أن الله لا يستجيب دعاء المؤمنين، وتقوم ببناء حجتك على ذلك لتقول بعدها: إن الله غير موجود؟!!

إذ لا شك أن من بين هذه الملايين ستجد من استجاب اللهُ دعاءه، وحينها يقال لك: إذا كان عدم استجابة الدعاء يعني نفي

وجـود الله، فاسـتجابة الدعـاء تعنـي إثبـات وجـوده!! فهـل توافـق؟!

مـن المؤكـد أنـك سـتدّعي أن ذلـك حـدث صدفـة، وليـس اسـتجابة مـن الله.. وهكـذا أنتـم الملاحـدة.. لـذا أقـول لـك: لا يصلـح الاسـتدلال بإجابـة الدعـاء عـلى وجـود الله، أو عدمهـا عـلى عـدم وجـوده بطريقتـك تلـك في مقـام المناظـرة.

الملحد:

وبماذا تبرر فساد المقدمة الثانية؟!

المؤمن:

أمـا فسـاد المقدمـة الثانيـة (لـو كان الله موجـودًا لاسـتجاب لهـم) فواضـح، بتقريبـه عـلى النحـو الآتي:

قـد لا يسـتجيب الطبيـب لطلـب مريـض بتنـاول دواء معـين إذا كان هـذا الـدواء ضـارًّا بـه.. فهـل بإمكانـك أن تسـتنتج عـدم وجـود الطبيـب؟!!

وقـد لا يسـتجيب المعلـم لطلـب طالـبٍ بتغيـير درجتـه إذا كان هـذا الطلـب غـير عـادل.. فهـل بإمكانـك أن تسـتنتج عـدم وجـود المعلـم؟!!

وقـد لا يسـتجيب الوالـد لطلـب طفلـه بـشراء لعبـةٍ معينـة إذا كانـت هـذه اللعبـة غـير مناسـبة لعمـره.. فهـل بإمكانـك أن تسـتنتج عـدم وجـود الوالـد؟!!

الملحد:

وبماذا تبرر عدم استجابة الله لدعاء المؤمن؟!

المؤمن:

قد لا يستجيب الله سبحانه دعاء المؤمنين، لاختبارهم وامتحانهم، ليزيد من إيمانهم وصبرهم، لقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

وقد لا يستجيب الله لدعاء المؤمنين، على وفق حكمته، فهو يعلم ما هو خير لهم، وما هو شر لهم، لقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

الملحد:

المحير في الأمر أن ربكم وعدكم بالإجابة حين الدعاء!!

المؤمن:

نعم، قال سبحانه "ادعوني"، لكن السؤال:

هل قال لهم: ادعوني استجب لكم في الدنيا، أو استجب لكم في الآخرة؟!

هل قال لهم: أستجب لكم فورًا، أو أستجب لكم بعد حين؟!

(١) البقرة:٢١٦.

هل الاستجابة شاملة لكل أحد، ومهما كان موضوع الدعاء؟!

ثم من قال لك: إن الدعاء هو عصًا سحرية، يستخدمها المؤمن لتحقيق أمانيه ومتعه ولسد حاجاته ولدفع ما يريد عن نفسه ولجلب ما يشاء لنفسه؟!!

وإذا كان لا بد أن يستجيب الله دعاء المؤمنين متى ما دعوه، وكيفما دعوه، ولأي شيء دعوه، لإثبات أنه موجود، لما بقي على وجه الأرض ملحد ولا كافر.. بل لما بقي على وجه الأرض بشر؛ لأنه متى ما تشاجر شخصان، ودعا كل منهما للضرر بالآخر، واستجاب الله لدعوتهما فورًا، لكانت البشرية قد انقرضت منذ زمن بعيد؛ لأن الفرض أنه لا بد أن يستجيب الله للدعاء مهما كان وكيفما كان، ليثبت وجوده!!

إذًا، نتيجة "أنّ وجود الله متوقف على استجابته لدعاء المؤمنين على الفور، في أي وقت، وبأي طريقة، ولأي غرض" تُفضي لا محالة إلى العبثية وانقراض البشرية، وحاشا لله سبحانه مما ذكرنا، وهو العليم الحكيم.

الملحد:

انتهينا.

النتيجة:

١ - ادّعاء الملحد بأنّ جميع المؤمنين يدعون الله، ولا يستجيب لهم غير صحيح.

٢ - لم يُثبت الملحد أنّه جالَ العالم، واستمع لدعاء كلِّ المؤمنين.

٣ - وجود حالات استجابةٍ للدّعاء يُفنّد ادّعاء الملحد.

٤ - ربْط الملحدِ وجودَ الله باستجابته لدعاء كلِّ داعٍ مغلوط.

٥ - الله حكيمٌ يعلم ما هو خيرٌ لعباده، وقد لا يستجيب لبعضهم لحكمةٍ يعلمها.

٦ - اختبار إيمان المؤمنين وزيادةُ صبرهم من أسباب عدم الاستجابة أحيانًا.

الحوارية العاشرة

رحمة اللّه ومسؤولية الإنسان

مقدمة

يتمحور النقاش حول رحمة الله ومسؤولية الإنسان، فبينما يُشكِّك الملحد في قدرة الله سبحانه على الرحمة في ظل وجود معاناة كالموت جوعًا، يُؤكد المؤمن على أن الله قادر على كل شيء، لكنه لا يتدخل في حياة الإنسان مباشرةً؛ لأنّ ذلك يتعارض مع حرية الاختيار التي منحها للإنسان، بل أَمَرَ الإنسان بالعمل على تغيير الواقع وتحقيق العدالة.

نقاط النقاش:

- هل خلق الله سبحانه الإنسان للشقاء؟
- هل منح الله سبحانه الإنسان حرية الاختيار بين الخير والشر؟
- كيف نفهم رحمة الله سبحانه في ظل وجود البؤس والمعاناة؟
- هل تتعارض قدرة الله سبحانه على الرحمة مع وجود الفقر والجوع؟
- هل يُلغي الإيمان بالله سبحانه مسؤولية الإنسان عن تغيير الواقع؟

رحمة اللّه ومسؤولية الإنسان

الملحد:

كيف تتوقَّعون من إلهٍ يعجز عن إعطاء كسرةِ خبزٍ لطفلٍ يموت جوعًا أن يرحمكم؟

المؤمن:

سؤالك يطرح إشكالًا قيِّمًا يتعلق بعلاقة الله بالإنسان، لكنه يستند إلى فهمٍ خاطئ لطبيعة هذه العلاقة.

الملحد:

كيف ذلك؟

المؤمن:

إنّ الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون ومالكه، وقد خلق الإنسانَ ليكون خليفةً له في الأرض، وهذا يعني أنّ الله قد أودع في الإنسان قدرةً هائلةً على الفهم والعلم والتقدُّم، وقد سخّر له كل ما في السموات وما في الأرض، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[١].

الملحد:

لكنْ ماذا عن الفقراء والمظلومين الذين يعانون من الجوع والحرمان؟

المؤمن:

إنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلقِ الإنسانَ ليعيش في شقاءٍ أو عذاب، بل أراد له أن يعيش حياةً كريمة سعيدة، لكنّ الله قد ترك للإنسان حرية الاختيار، وله أن يختار بين الخير والشر.

الملحد:

لكنْ أ لا يملك اللهُ القدرة على التدخل ومنع هذه المظاهر؟

المؤمن:

الله سبحانه وتعالى قادرٌ على كل شيء، لكنّه لا يتدخل في حياة الإنسان مباشرةً؛ لأنّ ذلك يتعارض مع حرية الاختيار التي منحها للإنسان، بل إنّ الله قد أمر الإنسان بالعمل على تغيير الواقع وتحقيق العدالة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢].

---

(١) لقمان: ٢٠.

(٢) الأنفال: ٢٤

الملحد:

لكنْ ماذا عن الطفل الذي يموت جوعًا؟

المؤمن:

إنّ موت الطفل مأساة حقيقية، لكنّ مسؤوليته تقع على عاتق مَن حولَه، فالله سبحانه خلق الناس ليتعاونوا، ويساعد بعضهم بعضًا.

الملحد:

لكنْ أ لا يُفترض بالله أن يُنقذ هذا الطفل؟

المؤمن:

إنّ الله سبحانه وتعالى قد أنقذ الإنسان بإرساله للرسل والأنبياء، الذين دعوا الناس إلى الخير وبسط العدل، وقد أنزل القرآن الكريم، الذي فيه هداية للناس.

الملحد:

لكنّ هذا كلامٌ غير مقنع!

المؤمن:

إنّ الإيمان بالله لا يعني أن نتوقّع منه أن يحل كلَّ مشاكلنا، بل إنّ الإيمان يعني أن نُدرك مسؤوليتنا، ونعمل على تغيير الواقع.

الملحد:

لكنّ هذا صعبٌ للغاية!

المؤمن:

نعم، تغيير الواقع صعبٌ، لكنه ليس مستحيلًا، فالله سبحانه يُعِيْن الإنسان على تحقيق مسؤوليته، لكنّ الإنسان هو مَن يجب أن يبادر، ويُتحرك.

وفي الختام أُذكّر أنّ الإيمان بالله سبحانه لا يُلغي مسؤولية الإنسان، بل يدفعه إلى العمل على تغيير الواقع وتحقيق العدل.

الملحد:

أرى أنه ينبغي التفكير فيما ورد في الحوار.

النتيجة:

١ - أن الله سبحانه خلق الإنسان خليفة له في الأرض، ومنحه القدرة على الفهم والعلم والتقدم، وسخر له كل ما في السموات والأرض، ومنحه حرية الاختيار بين الخير والشر، ولم يخلقه ليعيش في شقاء أو عذاب.

٢ - أن الله سبحانه أمر الإنسان بالعمل على تغيير الواقع وتحقيق العدالة، وأن موت الطفل جوعًا هو مسؤولية من حوله.

٣- أن الله سبحانه أنقذ الإنسان بإرساله للرسل والأنبياء والكتب السماوية، وأن الإيمان بالله لا يلغي مسؤولية الإنسان، بل يدفعه إلى العمل على تغيير الواقع.

الحوارية الحادية عشرة

الإيمان باللّه ليس عائقًا للاستمتاع بالحياة

مقدمة

في هذا الحوار، نتناول مسألة جوهرية هي: هل يُمكن للإنسان أنْ يستمتع بجمال الدنيا وروعة الحياة دون الإيمان بالله؟ أو أنّ الإيمان بالله يُعيق الاستمتاع بالحياة؟

فبينما يرى الملحد أنّ جمال الطبيعة وروعة الحياة كافيان لكي يتمتّع الإنسان بوجوده دون الحاجة للإيمان بالله، يؤكّد المؤمن على أنّ الإيمان بالله لا يتعارض مع الاستمتاع بالحياة، بل إنّه يُضفي عليها معنىً عميقًا وقيمةً سامية.

نقاط النقاش:

- هل الإيمان بالله يُقيّد الاستمتاع بالحياة؟
- هل يمكن للإنسان أن يكون سعيدًا دون إيمان بالله؟
- ما معايير السعادة الحقيقية للإنسان؟
- هل الإيمان بالله يُسبب القلق والخوف؟

الإيمان بالله ليس عائقًا للاستمتاع بالحياة

الملحد:

أليس جمالُ الطبيعة وروعة الحياة كافيين لكي نتمتع بوجودنا، ونعيش بأمانٍ دون الإيمان بالله؟

المؤمن:

سؤالُك غير صحيح، فليس هناك تعارضٌ بين الإيمان بالله والاستمتاع بالحياة، فعندما نقول: إنّ الغابة جميلةٌ، فلا يعني ذلك أن البحر ليس جميلًا، وكذلك عندما نريد أن نستمتع بالحياة، فلا يعني ذلك أننا لا يمكن أنْ نؤمن بالله.. إذن لا يوجد مبررٌ لهذا السؤال.

الملحد:

لكنْ ألا ترى أنّ الإيمان بالله يفرض قيودًا على الاستمتاع بالحياة؟

المؤمن:

بالعكس، إن الله قد سخّر هذه الدنيا للإنسان، وأمره أن يتمتّع

بما فيها من خيرات، بل جعل المتعة الحقيقية خاصة بالمؤمنين الذين يفوزون بخيرات الدنيا ونعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2]، وقال وقوله الحق: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[4].

الملحد:

لكن ماذا عن الاستمتاع بجمال الطبيعة دون الإيمان بالله؟

المؤمن:

إن الاستمتاع بجمال الحياة وروعة الطبيعة دون الإيمان بالله سيكون مجرد متعة حيوانية لا عقل فيها، فيصبح حالُ الإنسان كالبهيمة المربوطة، همُّها علفها، وتلهو عما يُراد بها.

(١) الأعراف:٣٢.
(٢) البقرة:١٦٨.
(٣) المائدة:٨٨.
(٤) الأنعام:١٤١.

الملحد:

لكنْ أ لا ترى أن سعادة الإنسان تكمن في إشباع رغباته؟

المؤمن:

سعادة الإنسان ليست بإشباع رغباته بعيدًا عن القيم والمُثُل العليا التي تميِّزه -على أنه إنسان- عن بقية الحيوانات، فسعادة الإنسان تكمن في تكامله الروحيّ والمعنوي، والذي يحصل بالاستفادة من الدنيا وتسخيرها، وقيمته بما يحمله من قيم وفضائل، وكل ذلك لا يكون دون الإيمان بالله مصدر الخير والفضيلة.

الملحد:

لكنْ ثمّة أشخاصٌ غير مؤمنين، ويعيشون حياة سعيدة؟

المؤمن:

قد يبدو ذلك للوهلة الأولى، لكنّ سعادتهم سطحيّة ومؤقتة، إنهم يلهون في الدنيا من غير هدًى أو بصيرة، إنّ سعادة الإنسان الحقيقية تأتي من الإيمان بالله والشعور بالصلة به.

الملحد:

لكنّ الإيمان بالله قد يسبِّب القلق والخوف من الآخرة.

المؤمن:

الإيمان بالله يمنح الإنسان الطمأنينة والأمل، ويمنحه شعورًا بالهدف والمعنى في الحياة، أما الخوف من الآخرة فهو يأتي من سوء الفهم أو من عدم المعرفة الصحيحة للدين.

النتيجة:

١ - أنّ الإيمان بالله سبحانه يُضفي بُعدًا روحانيًّا على جمال الطبيعة، ويُعزّز الشعور بالسعادة.

٢ - أنّ الإيمان بالله سبحانه هو مصدر السعادة الحقيقية؛ إذ يُحرّر الإنسان من قيود الشهوات، ويُوجّهه نحو السعادة والطمأنينة.

٣ - أنّ سعادة الملحدين سطحية ومؤقتة؛ لأنهم يرون أنها تأتي من إشباع الرغبات.

٤ - أنّ الإيمان بالله سبحانه يمنح الطمأنينة والأمل للمؤمنين به.

الحوارية الثانية عشرة

تحدّي القرآن للإنس والجن

مقدمة

يُعدّ تحدي القرآن للإنس والجن بالإتيان بمثله دليلًا قاطعًا على إعجازه، وبرهانًا على صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ورسالة الإسلام الخاتمة.

يتناول الحوار نقاشًا بين ملحد ومؤمن حول معنى هذا التحدّي الموجه للإنسِ والجنِّ معًا، وهل ثمة ارتباط بين واجبات الإنسان والجنّ؟ وكيفية معرفة عجز الجنّ عن الإتيان بمثل القرآن.

نقاط النقاش:

- ما التحدّي الذي يوجِّهه القرآن؟
- هل التحدي هو للإنسان فقط أو للجن أيضًا؟
- هل آمن الجنّ بالقرآن؟
- ما علاقة تحدّي الإنسان بتحدّي الجنّ؟
- كيف نعرف عجز الجن عن الإتيان بمثل القرآن؟

تحدّي القرآن للإنس والجن

الملحد:

ما هو التحدي الذي يوجِّهه القرآنُ في دعوى إعجازه؟

المؤمن:

التحدّي الذي وجَّهه القرآنُ هو أنه دعا البشر والجنّ إلى أن يأتوا بمثله، حتى لو اجتمعوا، وتعاونوا معًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا**﴾.

الملحد:

ما معنى هذا بالضبط؟!

المؤمن:

يعني أنّه من المستحيل الإتيان بمثل القرآن حتى لو تعاون الإنس والجن.

الملحد:

إذًا، هذا يعني أن الخطاب والتحدي في الآية موجَّهٌ للجن أيضًا؟

المؤمن:

الخطاب والتحدي موجَّهٌ للإنسان بنحوٍ أساس، لكنّه يشمل الجن أيضًا.

الملحد:

فلماذا يشمل التحدّي الجن؟!

المؤمن:

لأنّ القرآن موجَّه للجن والإنس على حدٍّ سواء، فيجب أن يكون التحدي شاملًا للجميع.

الملحد:

أخبرْني هل آمنَ الجنُّ بالقرآن مثلما آمن البشر؟

المؤمن:

نعم، بعض الجن آمنوا بالقرآن بعد سماعهم له، كما ورد في سورة الجن، قال تعالى: ﴿**قل أُوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا ۞ يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا**﴾

الملحد:

إذًا، هـذه الآيـة التـي ذكـرتْ إيـمان الجـنِّ مـع الآيـة التـي وجِّهـت التحـدي للإنـس والجـن تبـيِّن أنّ ثمـة ارتباطًـا بـين واجبـات الإنسـان وواجبـات الجـن؟!

المؤمن:

لا، واجبـاتُ كلٍّ منهـما منفصلـةٌ عـن الآخـر، ولا يرتبـط تحـدي أحدهمـا بتحـدي الآخـر، فالآيـة الأولى تثبـت عجـز الإنسـان عـن مجـاراة القـرآن والإتيـان بسـورةٍ أو آيـةٍ مثلـه، وقـد ثبـتَ هـذا الإعجـاز، إذ منـذ البعثـة إلى يومنـا هـذا عجِـز الإنسـانُ عـن مجاراتـه، لم يـأتِ أحـدٌ لا بمثـل القـرآن ولا بسـورةٍ منـه، بـل ولا بآيـةٍ واحـدة.

الملحد:

مـاذا لـو أنّ الجـن أتَـوا بقـرآنٍ جديـد؟ كيـف نعـرف ذلـك؟ وكيـف نعـرف عجـز الجـن عـن الإتيـان بمثـل القـرآن؟

المؤمن:

عـلى مَـن يدعـي ذلـك أن يثبـت كلامـه، وليـس عـلى المؤمنـين إثبـات عـدم صحـة ادّعائـه.

وأمـا كيـف نعـرف عجـز الجـن عـن الإتيـان بمثـل القـرآن، فإننـا إذا افترضنـا تمكُّـن الجـن مـن الإتيـان بمثلـه، فـلا سـبيل لمعرفـة ذلـك إلا

بظهوره على لسان أحد البشر، وبما أنه لم يدَّعِ أحدٌ ذلك، فيثبت عجز الجن، وأن التحدي قائمٌ إلى يوم القيامة.

الملحد:

لا جواب.

النتيجة:

١ - التحدي الذي وجَّهه القرآن للإنس والجنّ هو أن يأتوا بمثله، حتى لو اجتمعوا، وتعاونوا معًا، وهذا يُثبت عجز البشر والجنّ عن مجاراة القرآن الكريم في بلاغته وإعجازه.

٢ - لا توجد علاقة مباشرة بين تحدّي الإنسان وتحدّي الجنّ، لكنّ شمول التحدّي للجنّ يُؤكّد على عظمة القرآن وإعجازه.

٣ - لا سبيل لمعرفة تمكُّن الجن من الإتيان بمثل القرآن إلا بظهوره على لسان الإنس، وبما أنه لم يدَّعِ أحدٌ من الإنس ذلك، فيثبت عجز الجن، وأن التحدي قائمٌ إلى يوم القيامة.

الحوارية الثالثة عشرة

الإيمانُ باللّه بين العقل والخوف

مقدمة

يتمحور النقاش هنا حول موضوع الإيمان بالله سبحانه، فبينما يشكِّك الملحد في أن إيمان المؤمنين بالله هو نتيجة خوفهم من عقوبته، يؤكد المؤمن مثبتًا أنّ الإيمان ينبع من العقل، وأنّ الخوف من النتائج السلبية أو العواقب يمكن أن يكون عاملًا تحفيزيًّا للإنسان لاتخاذ إجراءاتٍ معقولة لحماية مصالحه الشخصية والمنافع الخاصة به، ومن المؤكد أن الخوف يحفِّز على القيام بأفعالٍ تُعدُّ منطقيةً ومستنيرة لتجنُّب المشاكل والمخاطر المحتملة.

نقاط النقاش:

- هل الإيمان بالله ناتج عن الخوف أو عن العقل؟
- هل الخوف هو السبب الأساس لنشوء الدين؟
- كيف يُمكن تفسير زيادة الإيمان مع الشعور بالأمان والطمأنينة؟
- كيف يُمكن للخوف أن يكون عاملًا محفزًا للأشخاص لاتخاذ إجراءات عقلانية؟
- كيف يُمكن تفسير الخوف على أنه مؤشّر على وجود العقل والتعقّل؟
- كيف يُمكن للإيمان بالله أن يُحفّز الإنسان على التفكير والبحث عن الحقيقة؟
- ما "قاعدة دفع الضرر المحتمل"؟ وكيف تُطبّق على الإيمان بالله؟

الإيمانُ باللّه بين العقل والخوف

الملحد:

إذا كان للإلـه وجـودٌ حقيقـيٌّ، فسـيكون لديـه احـترامٌ أكـبر مـن قِبَـل الأفـراد الذيـن يسـتخدمون عقولهـم بـدلًا مـن اتبـاع ديـنٍ نابـعٍ مـن الخـوف وحـده.

المؤمن:

التناقـض واضـح في طرحـك، عـلاوة عـلى ذلـك فإنـه يُثير الضحـكَ بمَرمـاه!!

الملحد:

أين التناقضُ في كلامي؟ وما المضحك فيه؟!

المؤمن:

التناقــض هــو أنــك أشرتَ إلى أنــه إذا افترضنــا وجــود الله فإنّــه سـيَحترم العاقـلَ الـذي لا يؤمـن بوجـوده أكثـر مـن المؤمـن بـه نتيجـةً للخـوف مـن عقوبتـه، فهـذا التناقـض يجعـل كلامـك غـير منطقـيٍّ،

فيمكن تصنيفه على أنه مغالطةٌ في المنطق.

الملحد:

وما المضحك فيه؟!

المؤمن:

أما المضحك في كلامك، فهو أنّ أُسّ أساس الإلحاد قائمٌ على إنكار وجود الله، ومع ذلك افترضت وجود الله في سياق كلامك.

الملحد:

أنا بصدد المقارنة بين المؤمن والملحد فقط!!

المؤمن:

إذا أردنا أنْ نقارن بين المؤمن والملحد من حيث العقل والتفكير المنطقي فإننا بالضرورة نجد أنّ المؤمن يُظهر مزيدًا من الالتزام بالمنهج العقلي مقارنةً بالملحد؛ لاعتقاد الملحد أنّ العالَم نشأ من دون وجود خالقٍ، وأن الحياة نشأت من اللاحياة، ويؤمن بمفاهيم أخرى، تتعارض مع التفكير المنطقيّ؛ ولهذا السبب يُعَدّ الشخصُ العاقل هو من يُعبِّر عن قلقه إزاء مصيره القادم، ويسعى بجدِّيةٍ للوصول إلى مأمنٍ يضمنه.

الملحد:

لكنْ تبقى مسألةُ الخوف السببَ الأساسَ الذي أدّى إلى نشوء الدين!!

المؤمن:

إذا كان الخوفُ هو العاملَ الأساسَ الذي أدّى إلى نشوء الدين، فيلزم أن يكون الدينُ مرتبطًا بوجود الخوف، وعندما يتلاشى الخوف، فلا بدّ أن يتلاشى معه الدين أيضًا، وعلى هذا الاعتقاد يلزم أيضًا أنْ نشهد زيادةً في الإلحاد كلما تضاءل الخوف والقلق، وفي المقابل نشهد زيادةً في الإيمان كلما زاد الخوف والقلق، ولكنّ الواقع هو أننا نرى زيادةً في التديُّن بين الأشخاص الذين يشعرون بالأمان والطمأنينة، مثل الأنبياء والأولياء، بينما نجد الملحدين هم الذين يعانون من الخوف والقلق الوجوديّ.

الملحد:

هذا كلامٌ مجردٌ لا دليل عليه ولا شاهد، وأراك تتلاعب بالألفاظ!!

المؤمن:

دونك ما قاله عالِم النفس السويسري كارل يونج: «انعدام الشعور الديني يسبِّب كثيرًا من مشاعر القلق والخوف من المستقبل والشعور بعدم الأمان والنزوع نحو النزعات المادية البحتة، كما

يـؤدي إلى فقـدان الشـعور بمعنـى ومغـزى هـذه الحيـاة، ويـؤدي ذلـك إلى الشـعور بالضيـاع»[١].

الملحد:

لكـنّ تهديـد الإلـه للإنسـان وتخويفـه بالنـار والعـذاب فيهـا للإيـمان بـه لا يعـدّ منطقيًّـا!!

المؤمن:

إنّ الخـوف مـن النتائـج السـلبية أو العواقـب يمكـن أن يكـون عامـلًا تحفيزيًّـا للأشـخاص لاتخـاذ إجـراءاتٍ معقولـة لحمايـة مصالحهـم الشـخصية والمنافـع الخاصـة بهـم، ومـن المؤكـد أن الخـوف يحفِّـز عـلى القيـام بأفعـالٍ تُعـدُّ منطقيـةً ومسـتنيرة لتجنُّـب المشـاكل والمخاطـر المحتملـة، ممـا يجعلـه علامـة عـلى رزانـة عقـل الإنسـان في أغلـب الحـالات، الأمـر الـذي يتعلـق بالقـدرة عـلى تقديـر المخاطـر واتخـاذ الإجـراءات الملائمـة اسـتنادًا إلى الوعـي والتفكـير السـليم.

الملحد:

الواقع يكذِّب ما ذكرتَه!!

---

(١) دراسات في تفسير السلوك الإنساني، للدكتور عبد الرحمن العيسوي، ص١٩٣، دار الراتب الجامعية، بيروت، ١٤١٩هـ.

المؤمن:

بالعكس، الواقع الاجتماعيّ يشهد على أنّ الخوف مؤشِّرٌ على وجود العقل والتعقُّل في كثيرٍ من الحالات، فعلى سبيل المثال: الشخص الذي يخشى من التصادم المروري يقدِّر مخاطر القيادة بحذرٍ، ويتخذ إجراءاتٍ احترازيةً، مما يعكس تفكيرًا عقلانيًّا.

ومثل ذلك أيضًا: عندما يكون هناك خوفٌ من الإصابة بالأمراض، فيمكن أنْ يحفِّز هذا الخوفُ الأشخاصَ على اتخاذ إجراءاتٍ وقائية مثل الحفاظ على نمط حياةٍ صحيٍّ وزيارة الأطباء بانتظام، وهذا يعكس أيضًا تفكيرًا عقلانيًّا.

وهكذا في حالة الخوف من العواقب القانونية أو الخُلُقية لأفعال غير ملائمة، فإنه يُحتّم على الفرد والمجتمع اتخاذ قراراتِ تفكيرٍ أكثر عقلانية، ويسهم في الامتناع عن السلوكيات غير الملائمة.

الملحد:

أنا أعتبر ما ذكرته افتراضًا، لكنْ كيف ترفع التعارض بين الخوف والإيمان بالإله، حيث أن الخوف يمنع من التفكير بمنطقية؟

المؤمن:

لا يوجد أيُّ تعارضٍ بين الإيمان بالله والخوف منه، بل يمكن للإنسان أن يؤمن بالله بالعقل، وفي الوقت نفسه يخاف من عقوبته،

بل على العكس، يمكن أن يكون الخوف هو الحافزَ الذي يحفِّز الإنسانَ على التفكير والبحث عن الحقيقة، وذلك بهدف النجاة من العقاب المحتمل، وهذا المفهوم يُعرف في علم الكلام بـ"قاعدة دفع الضرر المحتمل"، بمعنى أننا إذا كنّا نتوقَّع وجود أذىً محتمل، فإن هذا بلا شكٍّ يحفِّزنا على البحث والتحقيق للتصرف بحيث نتجنَّب هذا الأذى المحتمل.

الملحد:

وضِّحْ أكثر، ما تعني بـ"قاعدة دفع الضرر المحتمل"؟!

المؤمن:

في حياتنا اليومية، يُظهر الخوف من احتمال وقوع الضرر قيمةً كبيرة في توجيه سلوكنا واتخاذ إجراءات وقائية بإزائه، فإذا كان الشخص يَحتمل وقوعَ ضررٍ ما عليه، فإن هذا الاحتمال يحفِّزه على اتخاذ إجراءات للحماية والوقاية.

فمثلًا: في مجال التأمين، نجد أنّ أغلب الأفراد يشترون وثائقَ تأمينٍ لحماية أنفسهم وممتلكاتهم من الأحداث المحتملة مثل الحوادث المرورية أو الأمراض، ونجدهم عند ممارسة أنشطةٍ خطرة مثل رياضة التسلُّق أو الغوص، يتخذون إجراءاتِ أمانٍ إضافية، ويحملون معهم معدات واقية احتياطية تحسُّبًا لوقوع حوادث، وفي مجال التخطيط المالي، نجد المختصين يقومون بإعداد خططٍ مالية

لتوفير واستثمار الأموال بحيث يمكنهم التعامل مع أي ضررٍ ماليٍّ محتمل في المستقبل.. إلى غير ذلك من العشرات من الأمثلة التي تُظهر كيف يمكن للاحتمال بوقوع ضرر أن يؤدي إلى اتخاذ إجراءات وتدابير للوقاية والحماية في مختلف جوانب الحياة.

والنتيجة: أنّ الإيمان بالله سبحانه بُنيانُه العقلُ وقوامُه الخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

الملحد:

لا جواب.

النتيجة:

١ - أنّ الدين نشأ من إيمان فطري بوجود خالق عظيم، وأنّ الإنسان مفطور على السعي لفهم معنى الحياة والارتباط بوجودٍ أعلى.

٢ - أنّ الخوف من العواقب السلبية يُحفّز الإنسان على اتخاذ إجراءاتٍ عقلانيةٍ لتجنّب هذه العواقب، مثل الالتزام بالقوانين والابتعاد عن السلوكيات الخطرة.

٣ - أنّ الخوف هو ردّ فعلٍ طبيعي على الخطر، وأنّ قدرة الإنسان على تقويم الخطر واتخاذ إجراءاتٍ لِتجنّبه تُشير إلى وجود عقله وتعقّله.

(١) فاطر:٢٨.

٤ - أنّ الإيمان بالله سبحانه يُحفّز الإنسان على التفكير والبحث عن الحقيقة، فيسعى إلى اكتشاف أسرار الكون ومعرفة المزيد عن الخالق وصفاته.

الحوارية الرابعة عشرة

البحث عن معبودٍ هو فطرةٌ موجودة داخل كل إنسانٍ منذ بداية الخلق

مقدمة

يدور الحوار حول طبيعة الدين، وهل هو صناعة بشرية أو فطرة إنسانية؟ فبينما يشكِّك الملحد في أن الدين صناعة بشرية، يقدم المؤمن حججًا تدحض ما ادعاه الملحد، وتدل على أن التدين فطرة إنسانية.

ويتطرق الحوار أيضًا إلى موضوع الممارسات الدينية المشوهة وأثرها في تشويه صورة الدين، وينتهي بتأكيد المؤمن على أن التدين فطرة إنسانية وأن الممارسات الدينية المشوهة لا تمثل الدين الحقيقي.

نقاط النقاش:

- هل الدين صناعة بشرية أو فطرة إنسانية؟
- هل إجماع البشرية على البحث عن معبود دليل على فطرية الدين؟
- هل الممارسات الدينية المشوهة دليل على عدم وجود شعور فطري بالتدين؟
- ما الفرق بين الشعور الفطري بالدين والممارسات الدينية؟
- هل هناك دليل علمي على وجود شعور فطري بالتدين؟
- كيف يمكن اختيار الدين الصحيح في ظل وجود ممارسات دينية مشوهة؟
- ما أثر العقل والبرهان في اختيار الدين الصحيح؟
- هل تدعم الشواهد التاريخية قضية الإلحاد أم تقوِّضها؟
- هل الممارسات الدينية المشوهة تمثل الدين الفطري؟

البحث عن معبودٍ هو فطرةٌ موجودة داخل كل إنسانٍ منذ بداية الخلق

الملحد:

الدينُ صناعةٌ بشريةٌ تهدفُ إلى التحكُّم في الناس واستغلالهم، حيث إنّ تطور أفكار الإنسان عن الدين بمرور الوقت يُشير إلى أنه صناعةٌ بشرية.

المؤمن:

أنت تتوخَّى بطرحك هذا أنْ تنفيَ حقيقة الدين، تلك الحقيقة الثابتة التي لا تتغيَّر بعوامل التطور والظروف، فهو ضاربٌ بجذوره في التأريخ الإنساني، وليس حالةً طارئة بسبب ظرف معيَّن.

الملحد:

لا .. فالإنسان البدائيُّ كان يعيش في بدائيةٍ من حيث مسكنه ومأكله وعلاقاته، وكانت أفكارُه عن الدين أيضًا بدائية، فاخترع لنفسه إلهًا من الخشب أو عبَد بعض الأشخاص أو الكواكب والنجوم.

المؤمن:

أنتَ بذكْرك نماذجَ من طرق العبادة البدائية تؤكِّد لنا بأن البحث عن معبودٍ هو فطرةٌ موجودةٌ داخل كل إنسان منذ بداية الخلق، وإجماعُ البشرية يؤكد هذا الكلام.

الملحد:

افترضْ أنّ البشرية أجمعتْ على أنّ البحث عن معبود هو فطرة موجودةٌ داخل كل إنسانٍ منذ بداية الخلق، وماذا يعني إجماعُهم؟!

المؤمن:

هذا يعني أن الإلحاد هو الحالةُ الشاذّة والطارئة، وليس الدين.

الملحد:

حتى تثبت أنّ الإلحاد حالةٌ شاذة، لا بد أنْ تثبت وجود شعورٍ فطريٍّ بالتديُّن، فالممارساتُ الدينية المشوهة تعدّ دليلًا على عدم وجود شعورٍ فطريٍّ بالتديُّن لدى البشر؟

المؤمن:

لا بد من التفريق بين الشعور الفطريِّ الداخلي بالدين والحاجة إلى وجود معبود، وبين ما يمارسه الإنسان من طقوسٍ خارجية.

الملحد:

ولماذا التفريق؟!

المؤمن:

لأن نقطة الخلاف الجوهرية بين الإيمان والإلحاد ليس في الممارسات والطقوس الخارجية، وإنما تكمن في الشعور الفطريِّ.. فأنت تريد أن تنفي هذه الفطرة الموجودة في داخل كل إنسانٍ، وذلك بالتشكيك في الطقوس، فبمعرفة الفرق بين الفطرةِ والطقوس تنكشف لنا خدْعتُك التي تحاول خداع المؤمنين بها لنفي الإيمان، ولكنك ومن دون أنْ تشعر أثبتَّ لنا أنّ هذه الفطرة موجودةٌ، وذلك من الأمثلة العبادية التي ذكرتَها لنا في سياق كلامك.

الملحد:

لا يوجد ما يُثبت الشعورَ الفطريَّ بالتديُّن والحاجة إلى وجود معبود!!

المؤمن:

قد أكد القرآن على الفطرة، فجعل معرفةَ الله قضيةً فطرية وجدانية بقوله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وفي ذات الوقت أكَّد على العقل؛ لكي يكون

(١) الروم: ٣٠.

دليلَ الإنسانِ للتمييز بين الممارسات السلوكية والأفكار والثقافات المختلفة.

وأكدتْ كثيرٌ من الأبحاث والدراسات الاجتماعية الدينية أنّ التديُّن صفةٌ عامة لجميع البشر، قديمِهم وحديثهم، وهو ما لخَّصته موسوعة، (لاروس القرن العشرين)، بالقول: «إنّ الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدِّها همجيةً، وأقربها إلى الحياة الحيوانية»[١].

وتؤكد الأبحاث والدراسات أنه لا توجد قطُّ على ممرِّ التاريخ جماعةٌ بدون دين، بل إنه قد يغيب العمران، وتغيب السياسة والعلوم والصناعات والفنون، في فترةٍ من فترات تاريخ الإنسان، ولكنّ الدين كان دائمَ الحضورِ في حياة الجماعات البشرية، كما جاء على لسان المؤرّخ اليوناني بلوتارك: «لو لاحظتم العالم فإنّكم ستجدون أماكن كثيرة لا عمران فيها ولا علم وصناعة وسياسة ودولة، ولكنّكم لا تجدون موضعًا ليس فيه الله»[٢]. وهو ما عبرَّ عنه الفيلسوفُ الفرنسي هنري برجسون بالقول: «لقد وُجِدتْ، وتوجد جماعاتٌ إنسانية، من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنْ لم توجد قطُّ جماعةٌ من غير ديانة»[٣].

---

(١) نقلاً عن: الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوثٌ ممهِّدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم بيروت، ص٨٢.

(٢) نقلاً عن: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: نفحات القرآن، نشر مدرسة الإمام علي، قم، الطبعة الأولى، ج٣، ص٩٨.

(٣) نقلاً عن: الدكتور محمد عبد الله دراز: الدين بحوثٌ ممهِّدة لدراسة تاريخ الأديان، م س، ص٨٢.

الملحد:

سأفترض أن ما ذكرتَه صحيحٌ، ولكنْ لا يمكن اختيار الدين الصحيح مع وجود ما يشوبه من ممارسات دينية مشوَّهة، فأين أثر الفطرة هنا؟!

المؤمن:

إذا أردنا أن نصف الدين بأنه حالةٌ فطرية فإنه يكون أصيلًا في الإنسان ومُجمَعًا عليه بين البشر، وأما إذا وصفناه بالممارسات والسلوكيات الخارجية فإنه يكون مختلفًا باختلاف الشرائح والأديان.

وفي هذا السياق، يأتي عمل العقل والبرهان على أنهما أدوات قادرة على اختيار الطريق الأفضل والأصلح من هذه الاختلافات، وعليه فكل الصور المشوَّهة في التاريخ الإنساني عن الأديان المنحرفة إنما هي في السلوكيات الخارجية، وفي النتيجة، فإن هذه الشواهد التاريخية لا تدعم قضية الإلحاد، بل تقوِّضها، وفي الوقت نفسه، يجدر بك أنْ تفهم أنّ هذه الممارسات المشوَّهة لا تمثِّل الدين الفطريَّ، بل تشوِّه صورته فقط.

الملحد:

لا جواب.

النتيجة:

أن البحث عن معبود فطرةٌ موجودةٌ داخل كل إنسان منذ بدء الخلق، لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، وأن التدين هو تعبيرٌ عن هذه الفطرة، والممارسات الدينية المشوهة لا تمثل الدين الحقيقي، ولا تنفيه، بل تشوّه صورته فقط.

الحوارية الخامسة عشرة

استغلالُ الدين ظاهرةٌ مُشوَّهةٌ لا تُمثِّل جوهرَه

مقدمة

يُعدُّ موضوع تقويم الدين بناءً على سلوك أتباعه من أكثر المواضيع إثارة للجدل، فبينما يرى الملحد أن الدين يملك سلطة كبيرة ناتجة عن قوة سحرية، وأن بعض المنتسبين إليه يستغلون هذه القوة للوصول إلى مآربهم الشخصية، يؤكد المؤمن أن الدين يملك قوة روحية تجذب الناس نحو القيم السامية والمُثل العليا، وأن الصورة المشوَّهة التي يعكسها بعض المنتسبين لا تمثل الدين.

ويهدف هذا النقاش إلى الوصول إلى فهمٍ أعمق لطبيعة الدين وتأثيره على سلوكيات الأفراد، ويناقش الطرفان -الملحد والمؤمن- مختلف جوانب هذا الموضوع، بدءًا من طبيعة السلطة التي يملكها الدين، إلى مسؤولية الدين عن تصرفات المنتسبين إليه، وقيمة النظر إلى تعاليم الدين بدلًا من سلوكيات بعض أتباعه.

ويسعى هذا النقاش إلى تفنيد بعض الأفكار المغلوطة حول الدين، والتأكيد على قيمة التقويم الموضوعي للدين دون الانسياق وراء سلوكيات بعض المنتسبين.

نقاط النقاش:

- هل يمكن تقويم الدين بناءً على سلوك أتباعه؟
- ما طبيعة السلطة التي يملكها الدين؟
- هل الدين مسؤول عن تصرفات المنتسبين إليه؟
- كيف يمكن التمييز بين الدين الحقيقي وسلوكيات بعض المنتسبين؟
- قيمة النظر إلى تعاليم الدين بدلًا من سلوكيات بعض أتباعه.

استغلالُ الدين ظاهرةٌ مُشوَّهةٌ لا تُمثِّل جوهرَه

الملحد:

الدين يملك قوةً سحرية تمنحه سلطةً كبيرة، فاستغل بعضُهم هذه السلطةَ، وادَّعوا أنهم يتواصلون مع الله للحصول على ما يريدون، والواقع أنّ الدين وما يدَّعونه خرافة.

المؤمن:

هذا اعتراف منك بأنّ للدين قوة، وقد عبرتَ عنها بأنها سحريةٌ، والصحيح أنها قوةٌ روحية، وهذه القوة هي التي تجذب الناس نحو الدين.

الملحد:

أعتقد أنني استخدمتُ كلمة "سحرية" وليس "روحية" في وصف السلطة التي يمتلكها الدين..

المؤمن:

نعم، أدرك تمامًا أنك قلتَ قوةً سحرية، وتلك هي مقولة الأمم المكذِّبة لرسُلها على ممرّ العصور، يتّهمون رسُلهم بالسحر؛ لأن ما جاءوا به ينسجم

مع الفطرة الإنسانية، وبما أن الإنسان بطبيعته ينجذب نحو الكمال والجمال؛ لذلك تراه ينجذب نحو الدين؛ لما فيه من قِيمٍ سامية ومُثُلٍ عليا، فينجذب الناسُ إلى رموزه الذين يُمثلون هذه القيم على النحو الأفضل والأحسن..

لذلك عبّرتُ عنها بالقوة الروحية، في قبال قولك: إنها قوة سحرية.

الملحد:

سواء كانتْ هذه السلطةُ سحريةً أو روحية، فلا بد أن تُرفع من الدين!!

المؤمن:

هذا تناقضٌ عجيب.. كيف تطلب منا أن نرفع السلطةَ من الدين، وأنت قد اعترفتَ في البداية بأنّ الناس تنجذب إلى الدين!! فكيف تطلب منا أن نرفع هذا الانجذاب؟!!

هل نغيِّر طبيعة البشر، ونجعلهم لا ينجذبون نحو الكمال والجمال؟! أو نغيِّر تعليمات الدين السامية والجذابة حتى ينفر منها الناس؟!

الملحد:

لقد طلبتُ ذلك منكم حتى يرتفع التناقضُ الذي زعمتَه.

المؤمن:

كان الأولى بك أنْ تقول: إنّ ثمة مَن يتلبَّسون بلباس الدين، وهؤلاء هم مَن قاموا باستغلال الدين وانجذاب الناس إليهم

بنحوٍ خاطئ بما يتناسب مع مصالحهم الشخصية، والصورة المشوَّهة للدين التي عكسها هؤلاء لا تمثل الدين، وفي الوقت نفسه لا يمكن أنْ تكون تبريرًا كافيًا لرفض الدين والكفر به.

الملحد:

إذًا، الدين هو السبب في تمكين هؤلاء لاستغلال الناس والبسطاء؟!

المؤمن:

تعاليم الدين نفسِه قد حذَّرتْ مِن استغلاله السيِّئ، فذكر لنا نماذج متعدِّدة في القرآن الكريم، مثل بلعم بن باعورا، والسامري، وقد ذمَّ القرآن الكريم هذا الاستغلال السيِّئ للسلطة الدينية.

وفي الاتجاه الآخر نجد مِن العظماء مَن طبَّقوا تعاليم الدين، وتحلَّوا بكل ما يأمر به من فضائلَ، مثل الرحمة والتضحية والإحساس بالآخرين وغيرها من الأمور التي تمثل جوهر الإنسانية، وكان لهم من الحضور عند الآخرين ما يثير الإعجاب، وهذا الحضور طبعًا لم يكن بأجسادهم، بل بأرواحهم وفضائلهم، فهم يمثلون نماذج حيَّة في المجتمع.

الملحد:

أراك جررْتَ الحوارَ مِن الدين إلى المتديِّن في حين أنَّ حوارنا عن الدين!!

المؤمن:

لأنّ الإشكالية هي إشكالية إنسانٍ، وليستْ إشكالية أديان، فالإنسان يتأثر بالبيئة والتربية والحالة النفسية والمحيط الاجتماعي والسياسي؛ لذلك تراه لا ينظر إلى الأمور بموضوعيةٍ، وإنما ينظر إليها بما ينسجم مع نفسيَّته ومصلحته، ولا يرى الحقائق بما هي، وإلّا فلا يوجد دينٌ لا يأمر أتباعه بتهذيب النفس والتزام الحق والتواضع وعدم استغلال الناس، والتديُّن الذي يخالف ذلك لا يكون تعبيرًا صادقًا عن الدين.

الملحد:

اكتفيت بهذا القدر.

النتيجة:

١ - لا يُحكم على الدين من مُمارسات المُنتسبين إليه، فالدين مجموعة من القيم والمبادئ، بينما قد ينحرف بعض الأفراد عن هذه القيم لأسبابٍ مختلفة.

٢ - أن وجود بعض الذين يستغلّون الدين لتحقيق مآربهم الشخصية، لا يُمثّلون الدين الحقيقي، بل هو انحرافٌ عن تعاليمه.

٣ - أنّ تعاليم الدين تُحذّر من استغلال الآخرين، وأنّ الدين لا يُمكن أن يُبرّر أيّ سلوكٍ مُسيء.

الحوارية السادسة عشرة

هل الدين هو السبب الوحيد للحروب؟

مقدمة

يدور هذا الحوار حول موضوع مُثير للجدل، ألا وهو: هل الدين هو السبب الوحيد للحروب؟

فبينما يطرح الملحد وجهة نظره زاعمًا أن العالَم بلا دينٍ هو عالَمٌ بلا حروبٍ أو تفجيراتٍ أو عنفٍ، ويرى أنّ الدين هو المحرك الرئيس للصراعات والحروب.

المؤمن يدحض هذا الزعم مؤكدًا أن الدين ليس السبب الوحيد للحروب، بل هناك العديد من العوامل الأخرى التي تُساهم في نشوبها، ويُقدّم أمثلة على حروبٍ نشأت من دون أسبابٍ دينية، مثل الحرب البيلوبونيسية، وحرب المائة عام، وحرب الاستقلال الأمريكية، والحرب الأهلية الأمريكية، والحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة، ويختم بوجهة نظر مضادة، وهي: عالَمٌ بلا إلحاد وملحدين هو عالَمٌ خالٍ من الحروب والدمار.

نقاط النقاش:

- هل الدِّين هو السببُ الوحيد للحروب في العالَم؟
- هل غيابُ الدِّين يضمن غياب الحروب والعنف؟
- هل العالَم بدون دِينٍ سيكون أفضل حقًّا؟
- هل يصحُّ تحميل مسؤولية سلوكيات المتديِّنين للدين نفسِه؟
- هل ثمَّة حروبٌ لم تكن دينيَّة؟

هل الدين هو السبب الوحيد للحروب؟

الملحد:

حينما نتحدَّث عن عالَمٍ بلا دينٍ، فنحن نتحدَّث عن عالَمٍ من دون انتحاريين ومن دون تفجيرات ومن دون قطع الرؤوس علنًا ومن دون سياطٍ على جسم المرأة، وهذا هو العالَم الذي نتطلع إليه؛ لأنه بلا دين.

المؤمن:

محاولةُ حصرِ أسبابِ الحروبِ بالدين فقط هي أمرٌ غير صحيح؛ لأننا بالبحث نجد أنّ هناك دوافعَ وأسبابًا متعدِّدة للحروب.

الملحد:

الكلام المجرَّد عن الدليل غير علميّ!!

المؤمن:

الدليلُ على كلامي هو أنه لو كفرَ جميعُ مَن في الأرض، وتركوا الدين لَما توقفتِ الحروبُ؛ وذلك بسبب المطامع وحبِّ السيطرة؛

ولهذا فإن العقليّة الإرهابية والإجرامية موجودةٌ عند بعض أصحاب الدين وعند الملحدين على حدٍّ سواء، ولا علاقة لها بالدين كما تظن، ويظنُّ من على شاكلتك من الملحدين.

الملحد:

كلامك هذا تبريرٌ للحروب التي وقعتْ باسم الدين!!

المؤمن:

لا أبرِّر الحروبَ التي وقعتْ باسم الدين، بل أؤكد أنّ الدين لم يكنِ السببَ الوحيد لنشوبها، فهناك العديد من العوامل الأخرى التي أدَّت إلى الحروب، مثل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأؤكِّد أيضًا على أنّ العنف والإرهاب أمرٌ مرفوضٌ، سواء صدر من المتدينين أو من غيرهم؛ إذ لا يوجد مبرِّرٌ لأيِّ نوعٍ من أنواع العنف، بِغضِّ النظر عن الدين أو العقيدة أو أيِّ انتماءٍ آخر.

الملحد:

إذًا، ما قولك في الحروب التاريخية الإسلامية، هل سترفضها؟!!

المؤمن:

رفْضُنا للعنف والإرهاب لا يعني عدم وجود مبرِّرات مقبولةٍ للحرب، مثل الدفاع عن النفس والحياة والمكتسبات، ولا تقتصر

هـذه المـبرِّرات عـلى المتدينـين دون غيرهـم -أيْ أنهـا مـبرراتٌ إنسـانيةٌ عامـة- إنـما نرفـض الحـروب العبثيـة التـي تهـدف إلى السـيطرة والهيمنـة والتوسُّـع.

الملحد:

لكنـكَ قلـتَ: إن الديـن لم يكـنِ السـببَ الوحيـدَ لنشـوب الحـروب بـين البشريـة، وهـذا يعنـي أنـه أحـدُ أسـبابها، ونحـن نريـد التعـرُّف عـلى الأسـباب لنعالجهـا، وقـد عرفنـا أحدهـا.

المؤمن:

صحيـح، لكنـك أيضًـا قلـتَ: (عـالَمٌ بـلا دِيـن) فجعلـتَ الديـنَ هـو السـببَ الوحيـد لنشـوب الحـروب في الدنيـا، ومـع ذلـك مـن المفيـد أن تميِّـز بـين الديـن والمتدينـين، فالمتديِّـن هـو شـخصٌ يؤمـن بالديـن، لكـنَّ سـلوكه قـد لا يتوافـق دائـمًا مـع تعاليـم الديـن؛ لذلـك لا ينبغـي أنْ نحمِّـل الديـن مسـؤولية سـلوكيات المتدينـين، خاصـةً عندمـا يتعلـق الأمـر بأفعـالٍ مثـل الحـروب العبثيّـة، فالديـن لم يأمـرْ أبـدًا بمثـل هـذه الأعـمال، حتـى لـو نُفِّـذت بسـلوكٍ جماعـي.

الملحد:

نعـم، أنـا قلـت (عـالَم بـلا ديـن)، إذ لا توجـد حـرب إلا والديـن سـببها!!

المؤمن:

إليك ما يفضح كذبَك، فهذه بعض الحروب التي نشأت من دون أسبابٍ دينية:

١ - الحرب البيلوبونيسية (٤٣١-٤٠٤ ق.م): وهي حربٌ نشبت بين أثينا وإسبارطة -مدينتين يونانيتين قديمتين- على زعامة العالم اليوناني.

٢ - حرب المائة عام (١٣٣٧-١٤٥٣): وهي حربٌ نشبتْ بين مملكتي إنجلترا وفرنسا على أراضٍ متنازَع عليها.

٣ - حرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥-١٧٨٣): وهي حربٌ نشبت بين المستعمرات الأمريكية وبريطانيا العظمى على الاستقلال.

٤ - الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١- ١٨٦٥): وهي حربٌ نشبت بين الولايات المتحدة الأمريكية على موضوع العبودية.

٥ - الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨): وهي حربٌ نشبت بين دول أوروبا لأسباب سياسية وعسكرية، ولم يكن الدين عاملًا رئيسًا فيها.

٦ - الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥): وهي حربٌ نشبت بين دول العالم لأسباب سياسية وعسكرية، ولم يكن الدين عاملًا رئيسًا فيها.

٧ - الحرب الباردة (١٩٤٧-١٩٩١): وهو صراعٌ سياسيٌّ وعسكري بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، ولم

يكـن الديـن عامـلًا رئيسًـا فيهـا.

ولي أنْ أقـول لـك الآن: عندمـا نتحـدَّث عـن عـالمٍ بـلا إلحـاد وملحديـن، فنحـن نتحـدث عـن عـالَمٍ خـالٍ مـن الحـروب والدمـار..

الملحد:

لا جواب!!

النتيجة:

١ - الديـن ليـس السـبب الوحيـد للحـروب، فهنـاك أسـباب أخـرى مثـل: العوامـل السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة.

٢ - قـد يسـتخدم الديـن لتبريـر الحـروب، لكـن هـذا لا يعنـي أنـه السـبب وراءهـا.

٣ - سـلوكيات المتدينـين لا تمثـل الديـن، ولا ينبغـي تحميـل الديـن مسـؤولية أفعالهـم، فـلا بـد مـن التمييـز بـين الديـن والمتدينـين، فقـد لا تتوافـق سـلوكيات المتدينـين دائـمًا مـع تعاليـم الديـن.

٤ - ثمـة حـروب كـبرى نشـأت دون أسـباب دينيـة، مثـل: الحـرب البيلوبونيسـية، وحـرب المائـة عـام، وحـرب الاسـتقلال الأمريكيـة، والحـرب الأهليـة الأمريكيـة، والحـرب العالميـة الأولى والثانيـة، والحـرب البـاردة.

الحوارية السابعة عشرة

قيمةُ الإنسان وعدم الإيمان بالحياة الآخرة

مقدمة

منذ القدم، شغل الإنسان تساؤلات حول معنى الحياة وقيمتها، هل هي رحلة عابرة في هذا الكون الفسيح، أو مقدمة لوجود أبدي؟

هل تكمن قيمتها في متع الحياة الدنيا، أو في السعي لتحقيق غاية أسمى؟

يتناول هذا الحوار موضوع قيمة الإنسان من منظورين مختلفين: الإيمان بالحياة الآخرة وعدم الإيمان بها.

يُجادل الملحد بأنّ قيمة الإنسان تكمن في هذه الحياة الدنيا فقط، وأنّ عدم وجود حياة بعد الموت يجعلها ذات قيمة عظيمة، فهم يزعمون أنهم يتمتعون بالحياة دون قيود دينية، ويستمدون أخلاقهم وقيمهم من مبادئ عقلية واجتماعية مشتركة.

بينما يثبت المؤمن أنّ قيمة الإنسان تأتي من كونه مخلوقًا لله، وأنّ حياته لا تنتهي بمجرد موته، وأنّ غايته هي السعادة الأبدية في الجنة، وأنّ الإيمان بالحياة الآخرة يعطي للحياة الدنيا معنى وقيمة.

نقاط النقاش:

- هل إيمان الإنسان بأنّ الحياة الدنيا هي الحياة الحقيقية يجعلها أعظم قيمةً؟
- هل التمتّع بالحياة دون الحاجة للاعتقاد بحياةٍ ما بعد الموت يُقلّل من قيمة الإنسان؟
- ما النظرية التي جعلت الملحدين يقلبون موازين قيمة الإنسان رأسًا على عقب؟
- هل يمكن أنْ تستند الأخلاق والقيم إلى قواعد ومبادئ عقلية واجتماعية دون الحاجة لتوجيهات دينية محدَّدة؟
- ما الرؤية المشوّهة التي وصفها المؤمن حول قيمة الإنسان في ظلّ الإلحاد؟
- ما قيمة الإنسان في نظر الإلحاد؟
- هل يتفق جميع العلماء مع الملحدين في نظرتهم لقيمة الإنسان؟
- ما الأمثلة على ضحالة قيمة الإنسان في ظلّ الإلحاد؟

قيمةُ الإنسان وعدم الإيمان بالحياة الآخرة

الملحد:

إن إيماننا بأنّ حياة الإنسان في الدنيا هي الحياة الحقيقية، ولا حياة له وراءها، هذا الإيمان منا هو الذي يجعلها أعظم قيمةً، بينما الذين يقولون بوجود حياة أخرى للإنسان بعد هذه الحياة -في الواقع- هم يسلبون منه روعة حياته، بل وروعة هذه الحياة.

المؤمن:

يظهر بنحوٍ واضحٍ أنّ القيمة التي تتحدّث عنها -والتي جعلتْك تؤمن بأن الحياة الدنيا هي الحياة الحقيقة، ولا حياة بعدها- هي الشهوات والملذّات والأهواء التي تجعل الإنسان في مصافِّ الحيوانات!!

الملحد:

وهل التمتُّع بالحياة دون الحاجة للاعتقاد بحياةٍ ما بعد الموت يجعل المتمتِّع بها في مصافِّ الحيوانات!!

المؤمن:

بالطبع، نعم؛ لأن من أبرز النظريات التي جعلتِ الملحد يرى أن القيمة منحصرةٌ في هذه الأشياء هي إيمانه بأن الإنسان جاء إلى هذه الدنيا عن طريق الصدفة، وسيمضي عنها مُكرَهًا إلى العدم والمجهول، فمن الطبيعي ألّا تتعدّى اهتمامات المعتقد بهذا الفكر دائرة غرائزه وشهواته، ومن المؤكَّد أنه لا يتحدّث بغير ما يُشبع غرائزه، وليس ما سواها في نظره يستحق الاهتمام.

الملحد:

على أيِّ نظرية تستند هذه الافتراضات؟! وأيّ نظرية تبرِّر اعتبار من يتمتع بالحياة في مصافِّ الحيوانات لمجرَّد عدم اعتقاده بوجود حياةٍ بعد الموت؟!

عن أيِّ نظريةٍ تتحدَّث أنت؟! وأيّ نظرية هذه التي تجعل مَن يتمتَّع بالحياة في مصافِّ الحيوانات لمجرَّد أنه لا يعتقد بوجود حياةٍ بعد الموت؟!

المؤمن:

أتحدث عن تلك النظرية التي يستند إليها الملاحدة اليوم، وهي نظرية التطوّر، هذه النظرية التي جعلتْهم يقلبون موازين قيمة الإنسان رأسًا على عقب، على حدّ تعبير مايكل دينتون، عالم

الكيمياء الحيوية المشهور بنقد نظرية التطوّر: «رؤية [داروين] الجديدة الثورية غيّرت العالم ... هي تتضمّن أن كلّ التنوّع للحياة في الأرض كانت نتيجة عمليات طبيعية وعشوائية، وليست -كما كان يعتقد قبل ذلك- نتيجةً لخلق الإله. قبول هذا الادّعاء الكبير، وما ترتّب عليه من إزالة الإله من الطبيعة لعب دورًا حاسمًا في علمنة المجتمع الغربي»[1]، وقال في موضع آخر: «النظرية الداروينية هي التي قطعت علاقة الإنسان بالإله، ووضعه على قدمٍ وساق في الكون بلا هدف ولا نهاية. وهذا الأمر هو الذي جعل تأثير النظرية أساسيًّا. لا توجد ثورة عقلانية في الأزمان الحديثة ... أثّرت بهذا التأثير الكبير على نظرة الإنسان إلى أنفسهم ومكانتهم في الكون»[2].

الملحد:

الأخلاق والقيم يمكن أنْ تستند إلى قواعد ومبادئ عقلية واجتماعية مشتركة، دون الحاجة لتوجيهات دينية محدَّدة!!

المؤمن:

ليس للإلحاد أيّ رؤية عن مبدأ الإنسان، ولا عن غايته ومصيره النهائي، بل ليس له إلا رؤية مشوَّهة له، فلا يمكن للإلحاد أنْ يتحدَّث عن قيمةٍ للإنسان، ليس لكونه كفَرَ بالإله فحسب، وإنما لكونه كفَر بالوجود وبالإنسان وبالعقل وبقيمة الحياة.

---

(1) Evolution: A Theory in Crisis 17.

(2) Evolution: A Theory in Crisis 67.

الملحد:

الرؤيـة التـي وصفتَهـا بالمشـوَّهة تعنـي القيـم الإنسـانية والخُلُقيّـة التـي تمنـح الإنسـان معنـى وهدفًـا في حياتـه!!

المؤمن:

هـذه القيمـة التـي تتحـدث عنهـا أنـت ومـن عـلى شـاكلتك مـن الملحديـن، أسـقطها ريتشـارد دوكنـز - المعـروف بـدوره في الحركـة الإلحاديـة الجديـدة - بتصريحـه الشـهير: «الكـون ليـس سـوى تجمُّـع للـذرات المتحرِّكـة، والبـشرُ مجـرَّد آلاتٍ لتكاثـر الحمـض النـووي»[1].. فقـد حـصر دوكنـز الوجـودَ في المـادة والطاقـة، معتـبرًا أن كل شيء في الكـون مجـرَّد ذرات تتحـرك، وأن الإنسـان مجـرد حيـوان مـن الحيوانـات، وأن هدفـه الرئيـسَ في الحيـاة هـو التكاثـر، وليـس أكثـر مـن ذلـك.

الملحد:

لا أعتقد أنّ هناك من يتفق معه من العلماء!!

المؤمن:

بـل اتفـق معـه جملـةٌ مـن كبـار الملحديـن، فهـا هـو عـرّاب الملحديـن "سـتيفن هوكينـج" -الـذي يعدّونـه عـالمَ الكـون المشـهور- قـد أوغـل في بيـان ضحالـة قيمـةِ الإنسـان في هـذا الوجـود، إذ يقـول: «الجنـس البـشري

(1) BBC Christmas Letter Study Guide 1991

هـو مجـرّد وسَـخٍ كيميائـي، موجـود عـلى كوكـب متوسّـط الحجـم»[١].

فها هي قيمة الإنسان في نظر الإلحاد (وسَخٍ كيميائي)!!

ويقـول جـورج جايلـورد سيمبسـون -أحـد أشـهر علـماء الإحاثـة في الولايـات المتّحـدة في القـرن العشريـن -: «في عـالم داروين، فإنـه لا مكانـة خاصّـة للإنسـان، غـير تحديـده بأنـه نـوعٌ خـاصٌّ مـن الحيـوان. هـو -بمعنـى الكلمـة- جـزءٌ مـن الطبيعـة، وليـس مسـتقلًّا عنهـا. هـو مجانـس -حقيقـة لا مجـازًا- لجميـع الكائنـات الحيّـة، سـواء أكانـت أميبـة أم دودة شريطيـة، أم عشـبًا بحريًّـا، أم شـجرة البلـوط، أم قـردة -وإن كانـت درجـة العلاقـة بينهـا متفاوتـة-»[٢].

والأخطـر مـن هـذا وذاك هـو بلـوغ الإلحـاد مرحلـة التبريـر لحـرق الأطفـال بقنابـل النابـالم بحجـة عـدم وجـود إثبـات يمنـع مـن ذلـك، يقـول آرثـر ألـين ليـف Arthur Allen Leff أسـتاذ القانـون بجامعـة يـال بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة: «لا توجـد طريقـة لإثبـات أن حـرق الأطفـال بقنابـل النابـالم هـو شيء سيء».

there is today no way of ‘proving’ that napalming babies is bad[٣].

وهـا قـد بـان لـك ولغـيرك بنحـوٍ واضـحٍ مَـن الـذي يسـلب مـن الحيـاة روعتهـا.

(1) From the TV show Reality on the Rocks: Beyond Our Ken 1995

(2) The World into Which Darwin Led Us, Science 131 (1960), p. 970.

(3) Economic Analysis of Law: Some Realism about Nominalism (1974), p.454.

النتيجة:

١ - الإيمان بالحياة الآخرة هو ما يعطي قيمةً حقيقيةً لحياة الإنسان.

٢ - الإلحاد يُسقط قيمة الإنسان، ويجعله مجرد حيوان من الحيوانات.

٣ - نظرية التطور هي التي جعلت الملحدين يقلّلون من قيمة الإنسان.

٤ - لا يمكن للإلحاد أنْ يُقدّم رؤيةً صحيحةً لقيمة الإنسان أو معنى لوجوده.

٥ - قيمة الإنسان في نظر الإلحاد ضحلةٌ ومُشوّهة، كما عبّر عن ذلك علماء ملحدون مشهورون.

٦ - يُبرّر الإلحاد، -حسب بعض الملحدين- أفعالًا مُروّعةً مثل حرق الأطفال، ممّا يدلّ على انعدام القيمة الإنسانية في ظلّه.

الحوارية الثامنة عشرة

من المسؤولُ عن الكوارثِ الطبيعية؟

مقدمة

في هـذا الحـوار يُشـكِّك الملحـد في صفتـي الله "الرحمـن والرحيـم" مسـتندًا إلى حادثـة غـرق قـوم نـوح، بـما فيهـم الأطفـال والنسـاء، ويـرى أنّ هـذا الفعـل يتناقـض مـع صفـات الرحمـة، ويعـدّه دليـلًا عـلى ظلـم الله.

بينـما يؤكِّـد المؤمـن عـلى مسـؤولية الإنسـان عـن أفعالـه وعواقبهـا، موضِّحًـا أنّ الله وضـع قوانـين تحكـم الكـون، ومـن يخالفهـا يتحمـل مسـؤولية عواقـب ذلـك.

ويُشـير المؤمـن إلى أنَّ الحديـث عـن الحكمـة والغايـة لا يمكـن أن ينشـأ إلا مـن الإيـمان بوجـود إرادةٍ خارجـةٍ عـن الموجـودات تحرِّكهـا، وهـو مـا لا يؤمـن بـه الملحـد.

نقاط النقاش:

- هل الله ظالم لإغراقه قوم نوح بما فيهم الأطفال؟
- هل يناقض الإيمان بالله البحث عن التفسيرات العلمية للظواهر الطبيعية؟
- كيف يمكن للإنسان أن يكون مسؤولًا عن موته وموت الآخرين في الكوارث الطبيعية؟
- ما حكمة الله من وراء الكوارث الطبيعية؟
- لماذا لا يتدخل الله لإنقاذ البشر من الكوارث؟
- ما الفرق بين مسؤولية الإنسان ومسؤولية الله في الكوارث؟
- هل يمكن إثبات مسؤولية الإنسان عن أفعاله وعواقبها؟
- ما حكمة الله من غرق قوم نوح؟

من المسؤولُ عن الكوارث الطبيعية؟

الملحد:

أليس اللهُ هو الرحمن الرحيم، فكيف يُغرِق قومَ نوحٍ بأكملهم بما فيهم الأطفال الصغار البريئون، دون أن يكون لهم ذنبٌ في أعمال آبائهم؟ فهذا إلهٌ ظالم.

المؤمن:

قبل أن أعقِّب على اعتراضك، أودّ طرحَ سؤالٍ تمهيديّ، على رغم معرفتي بإجابتك المُحتملة، وهو: هل تُؤمن بوجود خالق مدبِّرٍ لهذا الكون؟

الملحد:

بالطبع لا أؤمن بوجود أيِّ إلهٍ صانع لهذا الكون، بل أنا أؤمن أنّ المادة قد انفجرت، وتكوّن هذا الكون، وسيأتي يومٌ تفنى هذه المادة، وينتهي كلُّ شيء!!

المؤمن:

إذًا، فهل مِن عاقلٍ يتّهم مَن لا يعتقد بوجوده بأنه ظالم؟! وهل مِن عاقلٍ يبحث عن حكمةٍ من وراء فعلِ مَن لا يعتقد بوجوده؟!

الملحد:

لكنْ ينبغي على المؤمنين أيضًا ألا يتقبلوا التفسيرات العلمية بدون التفكير في الحكمة من وراء الأمور.

المؤمن:

أنعِم النظر في كلامي، لأبيِّن لك المفارقات العجيبة في طرحك:

إذا كنتَ لا تُؤمن بوجود أيِّ إلهٍ خالقٍ لهذا الكون، وتعتقد بأنّ المادة الصمّاء والعمياء هي التي انفجرت، وأدتْ إلى تكوين هذا الكون، وتعتقد أيضًا بأنه سيأتي يومٌ تفنى هذه المادة فيه، وينتهي كل شيء، فإنّ اعتقادك هذا يقتضي عدم البحث عن الحكمة وراء حدوث الظواهر الطبيعية، مثل غرق قوم نوحٍ بما فيهم الأطفال.. فالإلحاد -بناءً على إنكاره لوجود خالقٍ لهذا الكون وإيمانه بالمادة الصماء والعمياء- يستند بنحوٍ أساسيٍّ على البحث عن التفسيرات العلمية للظواهر الطبيعية وكيفية حدوثها، ويقبلها على أنها وسيلة وحيدة للتفسير؛ لذا فالإلحاد لا يسعى لاستكشاف الحكمة وراء حدوث تلك الظواهر، وبالنتيجة، فالملحد يعتقد أنه لا توجد حكمة

من خلق الكون، ولا من حدوث الظواهر الطبيعية ولا ممن غيرها، بل يراها مادةً تتبع نظامًا معينًا، وقد تحصل فيها بعض الطفرات.

إذًا، فالإلحاد يتوقَّف على حدود التفسير العلمي، ويتأقلم معه وإن كان جاهلًا بالحكمة.. ومن المفارقات العجيبة أنك حالة كونك ملحدًا، تُطالب المؤمنَ ألا يتأقلم مع التفسير العلمي إذا لم يكن قد تعرّف على الحكمة الكامنة وراء تلك الظواهر؟!

هل ثمّة تحوُّلٌ جديد بالنسبة للملحدين حتى أصبحوا الآن يبحثون عن الحكمة الكامنة خلفَ هذه الظواهر؟! أو أنّه مجرَّد تناقضٍ في أفكارك، حيث تُطالب المؤمن بما لا تُؤمن به أنت نفسك؟!

الملحد:

إذا كان الأمر كما ذكرت، فأخبرني، إذًا، كيف يمكن لشخصٍ أن يكون مؤمنًا، وهو جاهلٌ بالحكمة وراء موت الأطفال والنساء الذين أغرقهم الله؟!

المؤمن:

هذا افتراضٌ مغلوط، ومع ذلك أرغب في أن أوضِّح لك: أنّ عدم معرفة المؤمن للحكمة وراء موت الأطفال والنساء لا يعني بالضرورة أنه غير مؤمن، ولا يجعل الملحد أفضل حالًا من المؤمن؛ لأن الملحد أيضًا لا يعرف الحكمة، بل هو أكثر جهلًا وتخبطًا.

الملحد:

افترض أنني جاهلٌ بالحكمة، وأنت عالمٌ بها، ولكنْ أجبني: إذا كان الإله هو خالق الإنسان فلماذا لا يتدخل لإنقاذه من هذه الكوارث؟

المؤمن:

الإنسان هو الكائن المسؤول عن وجوده ووجود غيره من المخلوقات، ومِن ثَمَّ ينبغي عليه الحفاظ على نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1].

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي عليه أيضًا الحفاظ على الطبيعة وعدم إفسادها، وذلك ما نصَّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، فإنّ الله تعالى قد وضع قوانيَن، وحذّر الإنسان من أمورٍ، ونهاه عن الوصول إليها، فإذا خالفها، وارتكب حماقة، فإنّه هو المسؤول عن الأضرار الناتجة، وليس الله سبحانه.

الملحد:

عندما تحدُث الكوارثُ الطبيعية أو الحوادث المؤلمة للإنسان، كيف يمكنكم القول بأنه مسؤول عن وجوده ووجود غيره من

(١) البقرة:١٩٥.
(٢) الأعراف:٨٥.

المخلوقات؟ أ لا يُعدُّ الله ـ حسب إيمانكم ـ هو من خلقه؟ فكيف تُبرِّرون مسؤوليته، وتُبعدونها عنه؟ أ ليس هو من تسبَّب في هذه الكوارث؟

المؤمن:

سؤالك ناجمٌ عن سوء فهْمٍ، وسأوضِّح لك ذلك مرة أخرى، فأقول: نعم، الإنسان مسؤول على نفسه وعلى الطبيعة، إلا أنّ ذلك لا يُخرِجُه عن إرادة الله وهيمنته، فعلى رغم أنّ الله خلق الإنسان مختارًا، إلا أنه حذَّره من بعض التصرُّفات الخاطئة التي تستدعي غضبه؛ لهذا السبب وَضع للإنسان سُننًا وقوانين تسري على الأولين والآخرين، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1]، فمن لم يتَّعظ من هذه السُّنن، وخالفها، فعند نزول العذاب لا يكون الله سبحانه هو المسؤول، بل الإنسان هو الذي تسبب بنزول العذاب.

الملحد:

لا أزال غير مقتنع، أريد دليلًا ملموسًا يُقنعني بمسؤولية الإنسان عن أفعاله وعواقبها على رغم أن الله هو خالقه.

المؤمن:

سأقدِّم لك مثالًا بسيطًا قد يُساعدك في الاقتناع:

---

(١) الأحزاب: ٦٢.

افترض أن هناك شخصًا يُحذّر صديقه المدخِّن من أخطار التدخين المعروفة، وينصحه بالامتناع عنه لحفظ صحته، ومع ذلك، يتجاهل الصديق التحذيرات ويستمرّ في التدخين بنحوٍ متعمَّد ومستمر، وعندما يصاب هذا الصديق بمشاكلَ صحيةٍ خطيرة نتيجة لتعاطيه المستمر للتبغ، فمن المسؤول عن تضرُّره؟

الملحد:

بالطبع، الصديق الذي لم يمتنع من التدخين.

المؤمن:

فهذا يعني أنه هو المسؤول الأول عن حالته الصحية، وليس الشخص الذي حاول منعه من التدخين، وحذَّره، وبالنتيجة، يتحمَّل هذا الصديقُ المدخِّن مسؤوليةَ تداعيات تصرفاته على صحته.

وهكذا الحال في الدنيا -ولله المثل الأعلى- حيث وضع الله سبحانه قوانينَ، وحذر الإنسان من بعض التصرُّفات، فإذا خالفها، وارتكب حماقة، فإنه يكون هو المسؤولَ عن الأضرار الناتجة، وليس الله سبحانه.

وختامًا: أنّ الحديث عن الحكمة والغاية لا يُمكن أن ينشأ إلّا بعد الاعتراف بوجود إرادةٍ مُتساميةٍ تُحرِّك الموجودات، وهو ما لا يؤمن به الملحد.

فالحديث عن الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والزلازل وما يترتب عليها من معاناة وضحايا، فإنه يمثل مشكلة للملحدين فقط، إذ هم يرفضون الاعتقاد بوجود إرادةٍ خارجية تدير الأمور؛ لذا فهم يبحثون عن تفسيراتٍ علمية لهذه الظواهر.

الملحد:

وبالنتيجة ما جوابك عن غرق قوم نوح بما فيهم الأطفال الأبرياء؟

المؤمن:

الإجابة تكمن في أنَّ غرق قوم نوح لم يكن ظلمًا من الله سبحانه، بل كان نتيجة لأفعالهم وظلمهم، بينما تجلّت رحمة الله عزّ وجل، في صبره عليهم (٩٥٠عام)، ودعوتهم إلى الهداية حتى آخر لحظة، لكنهم أصرّوا على ضلالهم، فتجاهلوا دعوات نبيِّهم نوح عليه السلام، وقد شرحتِ الآيات في (سورة نوح) هذا الأمر بنحوٍ واضح لا لبسَ فيه، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۞ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[١].

وهكذا، يرغِّب الله سبحانه فيهم أحيانًا، ويحذِّرهم أحيانًا أخرى، حتى وَصفت الآيات -في نفس سورة نوح- حالتهم وجحودهم، وفي النهاية، حمّل الله سبحانه المسؤولية لقوم نوح في غرقهم، فقال سبحانه: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾[٢].

النتيجة:

١ - أنّ الإنسان مسؤول عن بعض الكوارث الطبيعية التي تحدث نتيجة إهماله وتجاوزه لقوانين الطبيعة.

٢ - أنّ غرق قوم نوح كان نتيجة لأفعالهم وظلمهم، وليس ظلمًا من الله سبحانه.

٣ - أنّ الإيمان بالله سبحانه لا يناقض البحث عن التفسيرات العلمية للظواهر الطبيعية.

٤ - أنّ الكوارث الطبيعية قد تكون بمثابة عقاب من الله سبحانه على الظلم والفساد، أو بمثابة اختبار للإيمان والصبر.

٥ - أنّ الله سبحانه رحيم بعباده، وأنّه لا يُرسل العذاب إلّا بعد أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين.

---

(١) نوح:٥-١٣.
(٢) نوح:٢٥.

٦ - أنّ الإيمان بوجود خالق مدبر للكون يسهم كثيرًا في فهم الحكمة والغاية من وراء الظواهر الطبيعية، بما في ذلك الكوارث.

٧ - أنّ الملحدين -بنكرانهم لوجود خالق- يبحثون عن تفسيرات علمية فقط لهذه الظواهر، دون النظر إلى الحكمة الكامنة وراءها.

الحوارية التاسعة عشرة

الخوفُ والإيمان وأثرهما على السلوك الإنساني

مقدمة

يتناول هذا الحوار موضوعًا ذا قيمة وأبعاد نفسيّة ودينية واجتماعية، ألا وهو الخوف والإيمان وأثرهما على السلوك الإنساني، فبينما يطرح الملحدُ وجهةَ نظرِه التي تُشير إلى أنّ تركيز الأديان على العقاب والجحيم، يُخوّف الناس بهما، ويُجبرهم على الإيمان، مما يُعدّ انتهاكًا لحقوق الإنسان، ويُؤكّد أنّ إيمانًا ينبع من الخوف لا يُعدّ إيمانًا حقيقيًّا، وأنّ الدين يُمثّل وهمًا لا أكثر.

في المقابل، يُقدِّم المؤمن ما يُؤكّد على أنّ العقوبات ضرورية لردع الجريمة، وأنّ الخوف من الله سبحانه وتعالى علامةُ صدق الإيمان، ويُشير إلى أنّ الدين يُشجّع على السلوكيّات الإيجابية، وأنّ تحذير الله من العقاب هو رحمة؛ لحماية الإنسان من الانحراف والظلم، كما يُؤكّد على أنّ الأوامر الإلهية تُظهر حرصًا كبيرًا على حفظ حقوق الإنسان وكرامته.

نقاط النقاش:

- هل يُعدّ الخوف أداةً فعّالةً لردع الجريمة وتعزيز الإيمان؟
- ما طبيعة الإيمان الحقيقي؟
- هل يُمثّل الدين وهمًا أو واقعًا؟
- كيف تُؤثّر الأوامر الإلهية على سلوك الإنسان؟
- ما العلاقة بين العقاب والرحمة الإلهية؟

الخوفُ والإيمان وأثرهما على السلوك الإنساني

الملحد:

إنَّ صبَّ الاهتمام على الجحيم والنار والعذاب في يوم القيامة هو أحد أساليب المتديِّنين لدفع الناس للإيمان، وهذا فيه انتهاكٌ للحقوق الإنسانيّة، حيث يخوِّفهم الدينُ بالأمور التي تقال لهم عن الجحيم.

المؤمن:

ضعْ في علمك أنّ فلسفة العقوبات تهدف في مؤدّاها النهائيّ إلى ردع الجريمة قبل حدوثها، ومن هنا لا يمكن إدانة العقوبات الجنائية، بل الذي يجب إدانته هو الجريمة نفسها، فالحياة الإنسانيّة لا يمكن أنْ تستغني عن القوانين الرادعة للجريمة أو أي مخالفة جنائية، ومن هنا، لا يمكن أن نتصور مشروعًا دينيًّا أو سياسيًّا يستهدف بناء الإنسان أو المجتمع، وهو لا يُعنى بالعقوبات التي تضمن استمرار المشروع.

الملحد:

لكنّ التركيز على العقاب والجحيم يخلق حالةً من الخوف والتهديد، فلماذا لا يستبدل بما يعزِّز القيم الإيجابية والتطلُّع للخير!!

المؤمن:

انظر، أنت الآن لا يخلو حالُك من أحد أمرين، إما أن تكون موظفًا بإحدى مؤسسات الدولة، أو تعمل في إحدى الشركات الخاصة، ومعلومٌ أن جميع هذه المؤسسات والشركات من دون استثناء تطبِّق سياسة العقوبات على الموظَّفين الذين يخالفون النظام، وهذه العقوبات معروفة، وهي: (لفت النظر الخطّي، الإنذار الخطّي، الخصم من الراتب الأساسي، تنزيل درجة الموظف، الفصل من الوظيفة)، فلماذا لا تستبدل هذه المؤسسات أنظمتها القائمة على العقوبات والتهديد والتخويف بأنظمة من شأنها تعزيز القيم الإيجابية والتحفيز نحو التطلُّع للخير؟!!

لا شك أنّ جواب العاقل يكون هو: أنّ تطبيق سياسة العقوبات على الموظفين الذين يخالفون النظام في المؤسسات يشجِّع على الالتزام بالإجراءات، ويحافظ على النظام والكفاءة داخل المؤسسة أو الشركة.

الملحد:

ما النتيجة التي تسعى إليها؟

المؤمن:

النتيجة هي: أنه إذا كان استخدام التهديد والترهيب بالنار والجحيم يعدّ انتهاكًا لحقوق الإنسان، فإنّ ذلك يعني أنّ المؤسسات

التي تنتهج سياسة التهديد والتخويف بالعقوبات على الموظفين تمثِّل انتهاكًا واضحًا لحقوق الإنسان.

الملحد:

أنا أتحدَّث في سياق الإيمان، وأنه نتيجة الترهيب والتخويف بالنار والجحيم، مما يجعلني أعتقد أنه ليس إيمانًا حقيقيًّا، فيكون الدين مجرَّد وهم.

المؤمن:

وأنا حدَّثتك على وفق اعتقادك -باعتبارك من الملحدين- المبني على أنني: (لا أؤمن إلا بما أرى، وأسمع، وألمس)، فذكرتُ لك افتراضًا واقعيًّا يتماشى مع منهجك الفكري، وهو أولى بأنْ يتّهم -بناء على طرحك- بالانتهاك لحقوق الإنسان.

وإذا كان الترهيب والتخويف بالنار والجحيم، ينتج عنه عدم وجود إيمانٍ حقيقيٍّ، وأنّ الدين مجرَّد وهم، فماذا تقول عندما يهدِّد شخصٌ مسلَّحٌ حياتَك، ويطلب اعترافَك بشيء ما، وتقوم بالاعترافِ بدافع الخوف من الموت، هل هذا معناه أنه لا يوجد خطرٌ حقيقيٌّ يهدِّد حياتك، وأن اعتقادك بالموت كان مجرَّد وهم!!

فإذا لم يكن ثمة خطرٌ حقيقيٌّ على حياتك، فلماذا تعترف؟! وبالنتيجة، يمكن القول: إنك تؤمن بوجود خطرٍ حقيقيٍّ على حياتك نتيجة الخوف، ولذلك قمتَ بالاعتراف.

إذًا، حالة الخوف إنما تنشأ من الاعتقاد والإيمان بوجود حقيقةٍ ما، فعندما يتأكَّد الاعتقادُ بوجود هذه الحقيقة، وأنّ تجاهلَها قد يؤدّي إلى عواقب خطيرة، هذا الإدراك هو الذي يولِّد حالة الخوف والحذر، ولم نرَ أو نسمع عن عاقلٍ سويٍّ يعاني من الخوف من لا شيء، بل يكون الخوف غالبًا متأتِّيًا من إدراكٍ حقيقيٍّ للمخاطر والتهديدات.

وبالمثل، ينطبق هذا على المؤمن أيضًا، حيث يتولَّد لديه الخوف من عقاب الله سبحانه وتعالى في حال عدم الامتثال لأوامره، وذلك نتيجةً للاعتقاد والإيمان بوجوده.

فالخوف من الله سبحانه وتعالى علامةُ صدقِ الإيمان، كما قال سبحانه: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

والأمن من مكر الله عزّ وجل وأليم عقابه إنما هو شأن الخاسرين، كما قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

الملحد:

ولكنْ هل لهذا الترهيب والتخوُّيف انعكاس على واقع المتديِّنين!!

(١) آل عمران:١٧٥.
(٢) الأعراف:٩٩.

المؤمن:

بالتأكيد، فإنّ خوف المؤمنين من عقاب الله سبحانه -سواء في الدنيا أو في الآخرة- يؤثر بنحوٍ كبير على توجيه سلوكهم نحو الأعمال الصالحة، فيحرصون على الابتعاد عن المحظورات الشرعية مثل الظلم والغشّ والكذب وغيرها، فيسعون إلى التمسُّك بالقيم الإنسانية السامية مثل العدل والرحمة والإحسان التي حثّ عليها القرآنُ الكريم، وأمر بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[1].

فالخوف يُعدّ عاملًا بارزًا في توجيه سلوك الإنسان نحو الخير والصلاح، فهو الكفيل والضمان لتجنُّب الانحراف، حيث لا تنقمع الشهوات إلا بنار الخوف، والله عزّ ذكرُه جعل لمن يخاف مقامه جنتين، فقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2].

الملحد:

العقوبات الصارمة والمروِّعة التي يهدِّد الإله بها الإنسانَ لا تتناسب مع مفهوم الرحمة الإلهية؟!

المؤمن:

على العكس تمامًا، فإنّ تحذير الله سبحانه للإنسان بإرسال

(١) النحل: ٩٠.
(٢) الرحمن: ٤٦.

الأنبياء والرسل يعكس بالضبط معنى الرحمة بالإنسان لحمايته من المصير المظلم، فالغرض من هذا التحذير بالعذاب الصارم ليس الترويع، بل المقصود منه سلامة الإنسان ومصيره، ومن هذا المنظور، يمكننا القول: إن الذي يقوم بتحذير الإنسان من الوقوع في مصير مظلم، إنما هو في الواقع من أبرز الداعمين لحقوق الإنسان، وها هو كتاب الله سبحانه مليء بالأوامر التي تحفظ للبشريّة حقَّها، وتحرِّم الاعتداءَ عليها وأخْذَ حقوقِها بغير حق، فمن ذلك حرمة قتل النفس بغير حق، قال سبحانه: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[1].

وعن حرمة أكل مال الغير بغير الحق قال سبحانه: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وعن حرمة الطعن في العرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

وعن حرمة الظلم، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

---

(١) الإسراء:٣٣.
(٢) البقرة:١٨٨.
(٣) النور:٢٣.

وعن حرمة الأذى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[١].

وغيرها كثيرٌ من الآيات المباركة التي تُمثّل أبرز مصاديق حفظ حقوق الإنسان التي لا تُضاهى بغيرها.

وختامًا أقول: إن تحذير الله سبحانه وتعالى من العقاب والعذاب الأبديّ، هو في الواقع يجسِّد رحمةً حقيقيةً لحماية الإنسان من الانحراف والظلم، فالأوامر الإلهية تعكس حرصًا كبيرًا على حفظ حقوق الإنسان وتعزيز كرامته، فكما يُحذّر الطبيبُ مريضه من مخاطر الطعام غير الصحّي لحمايته من المرض، فإنّ الله سبحانه -ولله المثل الأعلى- يُحذّر الإنسان من مخاطر الانحراف والظلم لحمايته من العذاب الأبديّ؛ ولذلك، يجب أن ننظر إلى تحذير الله سبحانه وتعالى على أنه علامةٌ بارزة على رحمته بنا، وليس علامةً على الترهيب والترويع، فهو الذي قال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[٢].

---

(١) الأحزاب:٥٨.

(٢) النساء:١٤٧

النتيجة:

١ - العقوبة ليست انتهاكًا لحقوق الإنسان، بل هي رادع للجريمة.

٢ - الخوف من العقاب الإلهي علامة على صدق الإيمان.

٣ - الخوف من الله سبحانه يدفع المؤمنين إلى الأعمال الصالحة.

٤ - تحذير الله سبحانه من العذاب الأبدي هو رحمة للإنسان لحمايته من الانحراف والظلم.

٥ - الأوامر الإلهية تعكس حرصًا كبيرًا على حفظ حقوق الإنسان وتعزيز كرامته.

٦ - تحذير الله سبحانه من العذاب الأبدي هو علامة على رحمته بعباده، وليس علامة على الترهيب والترويع.

الحوارية العشرون

هل العلم يفسِّر كلَّ شيءٍ دون الحاجة للدِّين؟

مقدمة

في هـذا الحـوار يَطـرح الملحـد وُجهـة نظـره التـي تعتمـد عـلى أنّ العلـم هـو المصـدر الوحيـد لفهـم الكـون والحيـاة، مسـتندًا إلى نظريـة التطـوُّر لتفسـير نشـأة الحيـاة دون الحاجـة إلى خالـقٍ أو دِيـن، ويـرى أنّ الأسـئلة الميتافيزيقيـة هـي مجـرَّد مسـائل إيمانيـة لا أسـاس لهـا مـن الصحـة، وأنّ العلـم قـادرٌ عـلى الإجابـة عـلى جميـع الأسـئلة.

بينـما يؤكِّـد المؤمـن عـلى قيمـة الديـن في تفسـير معنـى الحيـاة وسرِّ الوجـود، ويـرى أنَّ القِيَـم الدينيـة تعطـي تفسـيرًا حقيقيًّـا للحيـاة، ويطـرح أمثلـة لأسـئلة ميتافيزيقيـة لا يسـتطيع العلـم الإجابـة عليهـا، مثـل معنـى الحيـاة وسرّ الوجـود، ويـرى أنّ الديـن هـو المصـدر الوحيـد للإجابـة عـن هـذه الأسـئلة.

نقاط النقاش:

- هل العلم كافٍ لتفسير نشأة الحياة دون الحاجة إلى خالقٍ أو صانع؟
- ما الأسئلة الميتافيزيقية التي لا يستطيع العلم الإجابة عليها؟
- ما أثر الدين في تفسير الأسئلة الميتافيزيقية؟
- هل العلم أكثر عقلانية من الإيمان؟
- ما الآراء العلمية المختلفة حول نظرية التطوُّر؟
- ما العلاقة بين العلم والدِّين في العصر الحديث؟

هل العلم يفسِّر كلَّ شيءٍ دون الحاجة للدِّين؟

الملحد:

العلم أثبت نشأة الحياة، فلا ضرورة لوجود خالقٍ ولا دين.. فالحياة كلُّها تطوَّر بعضُها من بعض.. ولذلك لا حاجة لعوامل غيبيّة لتفسير تنوُّعها.

المؤمن:

اعترف عدة علماء ومفكرين بحدود معرفتهم وفهْمهم أمام تعقيدات وعظمة هذا الكون، فـ"ألبرت أنشتاين"، بعد كشفه عن أسرار الذرة، يستخدم مقارنة بين نسبة معرفته والمعرفة الكاملة للعالم، عندما سُئل عن نسبة معلوماته إلى مجهولاته، قال -وهو واقف بجانب سلمٍ قصير في مكتبته-: «إنّ النسبة تشابه نسبة هذا السُّلّم إلى فضاء العالم اللامتناهي»[1]، مما يُظهر مدى قلّة معرفته مقارنةً بتعقيدات العالم.

"ويلتر أوسكار لندربرج"، يستخدم لغةً مماثلة، مشيرًا إلى أنّ

(١) الهاربون من جحيم الإلحاد، نور الدين أبو لحية، ج١، ص٢٩٢.

معرفة البشريّة بالكون لا تزال في مراحلها الابتدائية، قال: «إنّ العلوم البشرية لا زالت في مراحلها الابتدائية؛ إذ في الوقت الذي يقيس الإنسانُ حجمه مع حجم الأجرام السماويّة، والمسافات بين النجوم، يجد نفسه جرمًا صغيرًا، ونسبتُه هذه تافهةٌ للغاية كما هو واضح»[١].

أما "يول كلارنس أبرسولد"، المتخصِّص في الفيزياء الذريّة والحياتية، فيعترف بأنه كان يأمل أن يكتشف العلمُ كلَّ شيء، لكنّه أصبح يدرك أنّ هناك الشيء الكثير ما زال مجهولًا، حتى في الأشياء الصغيرة مثل الذرة، وأن العلم لا يمكنه شرح كلِّ شيء، بما في ذلك كيف تتجمَّع الذرات لتشكِّل الكائنات الحية، قال: «كنت أعتقد في السابق أنّ العلم يومًا ما سوف يكتشف كلّ شيء، ولكنْ كلّما تقدّمتُ في دراستي، وأخذتُ استعرض الكائنات من الذرّة إلى الأجرام، ومن الميكروب إلى الإنسان، أيقنت أنّ هناك الكثير الذي لا يزال في عالم المجهولات.. إنّ العلماء باستطاعتهم دراسة كيفيّة وكمّية الأجسام، ولكنْ يستحيل عليهم أن يبيّنوا علّة وجودها وعلّة خاصّيّتها»[٢].

وأما "إيروينج ويليام نبلوج"، فهو يشدِّد على صعوبة الوصول إلى الحقيقة الكاملة بواسطة الحواسّ البشرية والأدوات غير الدقيقة، مما يوحي بأنّ العلم لا يمكنه تفسير كل شيء بالتفصيل، قال: «إنّ العلم يسعى لإتمام فرضيّاته كي يقترب من الحقائق، ولكنّه يبدو

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.

كلّما حاول الاقتراب من الحقائق ازداد عنها بعدًا.. إنّ إدراكنا من هذا العالم يتمّ بواسطة حواسّنا الناقصة، وأدواتنا غير الدقيقة وغير الحسّاسة.. لا يستطيع العلم أنْ يحدِّثنا عن جسمٍ صغير جدًّا (الذرة)، والتي يصعب رؤيتها حتى بالمجهر، من أين أتتْ، ولا يستطيع أيضًا أنْ يعيّن على أيِّ قانون أو صدفة ترغَم الذرات على أنْ تجتمع مع بعضها البعض كي ينشأ منها جسمٌ حيٌّ»[١].

بالنتيجة، إن إقرار هؤلاء العلماء بأنهم لا يزالون يجهلون الكثير عن حقائق الكون، يكذّب زعمك (العلم أثبت نشأة الحياة... فالحياة كلُّها تطوَّر بعضُها من بعض.. ولذلك لا حاجة لعوامل غيبية لتفسير تنوُّعها)!!

الملحد:

ومَن أدراك أنّ هؤلاء قالوا هذا الكلام.. وحتى لو قالوه، فالعبرة بالعلم لا بالرجال.. والحقائق تثبت بذاتها لا بمن يمثِّلها.

المؤمن:

أنت لا تزال تأخذ علمَك من جهةٍ واحدة فقط.. والعلم يحتاج منّا إلى البحث أكثر، ومن كلِّ المصادر.. فالحقيقة أعظم من أن يحتكرها أحدٌ من الناس.

---

(١) المصدر نفسه.

الملحد:

هاتِ مَن يعارض من العلماء فكرة "تطوُّر الحياة بعضها من بعض".. لا أريد خرافيين ولا متديِّنين.. بل علماء.. علماء حقيقيون، أولئك الذين يتبنَّون المنهج التجريبيّ، لا الميتافيزيقي".

المؤمن:

دونك "جوناثان ويلز"، الذي هو عالم أحياء أمريكي متخصِّص، وليس مجرَّد هاوٍ، "ويلز" يتحدَّث عن التحدِّيات التي تواجه فهم أصل الإنسان، ويشير إلى أنّ الإبهام والغموض يحيطان بهذا الموضوع، ويؤكِّد على أنّ فكرة تطوُّر الكائنات الحية قد أصبحت مجرَّد خرافة، ويقدِّم أدلة على ذلك بالأبحاث والاستنتاجات العلمية، فقد قال معبرًا عن اكتشافاته في هذا الجانب: «من النّادر للغاية أن يتمّ اطّلاع المجتمع كلِّه بما يقوم به العلماء المتخصِّصون من تفسيرات علميّة تتعلَّق بالإبهام والغموض العميقَين بخصوص أصل الإنسان، وبديلًا عن ذلك نتلقَّى مجرَّد خبرٍ عن آخر نظرية لهذا الشخص أو ذاك، ولا ينقلون لنا الحقيقة التي لم يستطيعوا هم أيضًا فهمها بخصوص هذا الموضوع.. فيتم الترويج للنظرية وتزيينها بشكلٍ دقيق، وبالاستعانة ببعض الرسوم والصور المتخَيَّلة لإنسان الكهف أو لجَدِّ الإنسان بوضعِ كثيرٍ من الماكياج عليها، والواضح أن أحدًا من قبلُ لم ينسج خيالًا واسعًا إلى هذا الحدِّ بخصوص جزئيةٍ بسيطة إلى هذا القدر في

أيّ فرعٍ من فروع العلم المختلفة»[١].

فهذا الاعتراف بأنّ الداروينيّة تعدّ خيالًا علميًّا ومجرَّد خرافة، أتى من عالمٍ بيولوجي أمريكي، وليس من أحد المتديِّنين.

الملحد:

ربما يكون "جوناثان ويلز" قد انحرف عن الرأي السائد، وبالنتيجة، قد لا يتم اعتبار رأيه مرجعًا موثوقًا..

المؤمن:

ليس "جوناثان ويلز" هو وحده الذي وصل إلى هذا الاستنتاج، بل سبقه "ريتشاد ليكي"، عالم الباليوأنثروبولوجيا، الذي يبحث في أصول الإنسان القديم، "ليكي" قال: «لو أنكم جئتم برجلِ علمٍ ذكيٍّ ماهر من فرعٍ مختلف من فروع العلم، وأطلعتموه على ما لدينا من دلائل غير كافية فإنه سيقول لكم وبكلِّ تأكيد: انسوا هذا الموضوع، فليس لديكم دعامة أو سند كافٍ للاستمرار فيه، فالدلائل لدينا غير كافية إطلاقًا»[٢].

ويؤكِّد "ليكي" على أنّ التطوُّر لم يكن سوى مسألة استكشافية، قال: «لقد أصبحت الفكرة التي تقول بأنّ تاريخ تطور الكائنات في الحياة عبارة عن مسألة أو قضية استكشافية أصبحت مجرَّد خرافة..

---

(١) أيقونات التطور: لَمِ يكون معظم ما ندرسه عن التطوُّر خاطئًا، جوناثان ويلز، ص ٢٢٥ ملخصًا.
(٢) انظر: المصادر الموثَّقة لهذا النص وغيره في كتاب: الرد على الملحدين العرب: د. هيثم طلعت.

فلو كان بهذا الشكل، ووجدنا حفريات كثيرة لكائنات شبيهة بالإنسان لكان من الضروريّ أنْ تتحوَّل حكاية التطور إلى شكلٍ أكثر وضوحًا، غير أنّ الحقيقة هي أنه عندما كان يحدث شيء كان يحدث شيءٌ آخر على النقيض تمامًا من الأول»[١].

إذًا، فالذين يعتمدون على هذه الفكرة لا يزالون في مرحلة التخلُّف مقارنةً بأبناء جيلهم.

الملحد:

كيف ذلك؟

المؤمن:

ألم ترَ أنه بدأ الاستهزاء بالتطوريّين في الأوساط العلمية من أوائل التسعينات؟ حتى أن "هنري جي" -وهو المحرِّر العلميّ في مجلة الطبيعة- قال: «إنّ عملية أخذ مجموعة من الحفريات، والقول بأنها تعكس وجود سلسلة قرابة هي في الواقع ليست فرضيّة علمية يمكن إخضاعها للاختبار، وكلُّ ما في الأمر أنها مجرَّد حكاية أو حدّوتة من أحاجي منتصف الليل المسلِّية التي قد تكون مُوَجِّهَةً أو مُرْشِدَةً للإنسان في كثير من الأحيان، إلّا أنها ومع ذلك لا تستند لأيّ أساسٍ علمي»[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) بَحْثًا عن الزمن العميق، بقلم هنري جي، ص١١٦.

بل إن كثيرًا من علماء الغرب أصبحوا اليوم يردِّدون قائلين: «نحن في حاجة ماسّة وعاجلة إلى عدم الدفع بالعلم إلى دائرة الخرافة»[١].

بل ولم يكتفِ العلماء بذلك بل بدأوا يعطفون على التطوريّين الذين أفلسوا، ففي كلمته عبَّر "جريج كيربي"، عن هذه السيكولوجيا على النحو الآتي: «لو أنكم قضيتم حياتكم كلّها في جمع العظام والقطع الصغيرة من الجمجمة والذقن، فإنكم ستشعرون برغبة ملحّة في أن تبالغوا في أهمية هذه القطع الصغيرة التي قمتم بجمعها»[٢].

الملحد:

العلم يقدِّم أدلّة واضحة وموثوقة، كما يمكننا أن نرى ذلك في تجارب المختبرات، مثل تحليل مكونات الماء وتحديد أنه مكوَّن من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين.

المؤمن:

أنا معك في ذلك، لكنْ ماذا عن الأسئلة الجوهرية مثل: ما معنى الحياة؟ هل يمكن للعلم أنْ يجيب عن هذا السؤال؟! الملحدون يقولون: إنّ العلم لا يمكنه كشف معنى الحياة، فـ"بيتر براين ميدوار"، من جامعة أكسفورد يقول: «العلم هو أكثر طريقة

(١) أسطورة التطور البشري، بقلم جون ر. دورانت، ص٤٢٥.
(٢) كتاب إجابات المنشأ، بقلم بول س. تايلور، ص٣٥.

ناجحة للحصول على المعرفة، ولكنْ يجب التفريق بين الأسئلة الميتافيزيقية، التي يجب أن يُجاب عليها بواسطة الدين والميتافيزيقيا، وبين الأسئلة التي طبيعتها تختص بالكون المادّي والتي لا يوجد حدود للعلم لمعرفتها»[١].

وعليه، إذا كنتَ تبحث عن إجابات عن سرّ الحياة والكون، فالدِّين هو المصدر الحقيقيّ الوحيد الذي يوفِّر لك تلك الإجابات، بينما يقتصر العلم على الجوانب المادية والملاحظة العملية فقط.

النتيجة:

١ - العلم لا يملك إجابات لكل الأسئلة، خاصة تلك المتعلقة بمعنى الحياة والكون، وقد اعترف العديد من العلماء بحدود معرفتهم أمام تعقيدات الكون، ولا يزال هناك كثير من المجهول حتى في الأشياء الصغيرة مثل الذرة، وأنه يصعب الوصول إلى الحقيقة الكاملة بواسطة الحواس البشرية والأدوات غير الدقيقة.

٢ - ثمة غموض يواجه الإلحاد في فهم أصل الإنسان، والداروينية مجرد خرافة علمية.

٣ - ما معنى الحياة؟ سؤال ميتافيزيقي لا يستطيع العلم الإجابة عليه؛ لأنه يقتصر على الجوانب المادية والملاحظة العملية فقط.

٤ - الدين هو المصدر الوحيد للإجابة عن الأسئلة الجوهرية.

---

(١) حدود العلم، تأليف: بيتر ميدوار، سنة النشر: ١٩٨٤، ص٦٠.

الحوارية الحادية والعشرون

حريةَ التعبير في انتقاد الدين ورموزه

مقدمة

في ظلّ تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا وتزايد حالات الإساءة إلى الدين الإسلامي، يُطرح سؤالٌ حول حدود حرية التعبير ومدى احترامها لمعتقدات الآخرين.

في هذا الحوار، يُدافع الملحد عن حرية التعبير المطلقة، رافضًا أيّ قيودٍ تُفرض عليها، بينما يُؤكّد المؤمن على أن حرية التعبير المطلقة تؤدي إلى الفوضى والانحراف، ويجب أن تكون مقيدة للحفاظ على النظام والأمن العام.

ويناقش الطرفان مختلف جوانب الموضوع، بدءًا من تعريف الحرية ومفهومها، مرورًا بحدود حرية التعبير في الإسلام، وصولًا إلى تأثيرها على التقدم والتطور.

نقاط النقاش:

- كيف نُوازن بين حرية التعبير واحترام الدين؟
- ما حدود حرية التعبير في الإسلام؟
- ما مخاطر حرية التعبير المطلقة؟
- كيف نُوازن بين حرية التعبير والنظام العام؟
- ما مسؤولية الفرد في احترام حرية الآخرين؟
- كيف تُمارس حرية التعبير بمسؤولية؟
- كيف نميز بين حرية التعبير والافتراء؟

حريةَ التعبير في انتقاد الدين ورموزه

الملحد:

ثمة مغالاةٌ من المسلمين في احترام الدين، حتى أصبح فوق كلِّ مستويات الاحترام للإنسان، ولنأخذ مثالًا على ذلك، ففي سبتمبر ٢٠٠٥، نشرت صحيفة "جيللاندز بوستن" رسمًا كاريكاتوريًا يصور نبي الإسلام، الأمر الذي أثار غضبًا واستياءًا في العالم الإسلامي، لماذا لا يَحترم المؤمنون حريةَ التعبير في انتقاد الدين ورموزه؟

المؤمن:

لكي أَردَّ على سؤالك هذا ينبغي أن أوضِّح معنى الحرية، حيث تُستغل كثيرًا لتبرير بعض الأفكار الخاطئة، ولفهم التحفُّظات التي يُظهرها الإسلام حيال الحرية الغربية ينبغي تحديد إطار الحرية وتحركاتها.

الملحد:

وكيف يحدِّد الدينُ إطار الحرية وتحرُّكاتها؟!

المؤمن:

إن الدين يرى أن الحرية هي اختيارٌ، وبنفس الوقت مسؤولية؛ لأنك يجب أَن ترجِّح الأصلح، وهذا الترجيح يشمل كلَّ جوانب الحياة، ويستوعب كلَّ سلوك الإنسان، فالإنسان كائنٌ ذو عقل، ومساهمة العقل في الحرية هي في تحديد الخيارات الجيدة والصالحة، وبالنتيجة، فسوف يستعمل الإنسان عقله في الحرية، وسوف تصبح كل خياراته عقلانيةً بعيدةً عن الأنانية والغريزة، ويصبح إنسانًا منضبطًا، وبما أنه عاقلٌ ومنضبط، فإنه سيراعي بقية القيم مثل العدل والعلم والتسامح، وعندما يتعامل مع الحرية فإنه لا يأخذها بمفردها، بل مع المجموع، وهنا سوف يراعي ترتيب المهم والأهم.

الملحد:

تحديد الدين إطارَ الحرية يخرجها عن معناها، بل يكون ذلك تقييدًا وقمْعًا، فيثبت أن الحرية هي بالمعنى المطلق لا المقيَّد!!

المؤمن:

مثل هذه الحريّة لا وجود لها، فلا توجد حريةٌ في جميع النواحي وفي كل شيء ومن دون قيد أو شرط، وإنما يوجد إنسانٌ حرٌّ، ولكنْ ليس بالحرية المطلقة.

فمثلًا لو تعارضتِ الحريةُ مع الأمن، فقطعًا سنقدِّم الأمن؛

لأنه أهم، وكذلك لو تعارضتْ مع التعليم مثلًا، فإذن، إذا أردنا أن نصل إلى مفهومٍ صحيحٍ للحرية فعلينا أن نقوم برصدٍ شاملٍ لكل القيم بعيدًا عن التأثيرات الزمانية والمكانية، وهذه هي نظرة الدين، فهي نظرةٌ شاملةٌ لا تتأثر بالظروف مثل ما تتأثر الفلسفات الإنسانية.

الملحد:

ولماذا لا تكون حرية التعبير دون قيود، بل تكون مطلقةً في كل شيء؟

المؤمن:

لأن حرية التعبير المطلقة تؤدي إلى الفوضى والانحراف، وهذا ما يحاول الدين تفاديه، فعندما يتعامل المجتمع مع الحرية، يجب أن يكون هناك توازن بينها وبين الحفاظ على النظام والأمن العام، وهذا ما تعلَّمناه من تجارب التاريخ والحضارات المختلفة، والحرية المطلقة أشبه بالأب الذي يوفِّر لابنه الحرية في أكل ما يريد من الأطعمة، سواء كانت ضارة أو نافعة، فإنه بذلك يكون قد حكم عليه بالموت، أما إذا وضع هذا الأب لابنه ضوابط لتناول الطعام فهذا لا يعني أنه تقييد له، بل هو للحفاظ عليه من الهلاك.. فكذلك الذي يريد حريةً بلا قيود ولا حدود، فإنه يدمر المجتمع والإنسانية بتلك الحرية.

وهنا أسألك: ماذا لو واجهت شخصًا يريد أن يعتدي عليك أو على ممتلكاتك بحجة حريته الشخصية؟

فحتمًا سوف تواجهه، وتمنعه، وتقول له: حريتك حدودها أن لا تعتدي على غيرك، وبذلك تكون قد اعترفتَ بأن هناك حدودًا للحرية، فيثبت أن الحرية هي بالمعنى المقيَّد لا المطلق.

الملحد:

لكنَّ الحرية الغربية تحترم الإنسان، بخلاف حرية الإسلام، فإنها لا تحترم حرية الإنسان، بل تقمع حريته، فلمجرد رسمٍ كاريكاتوري يصور نبي الإسلام، نجد أن المسلمين في العالم الإسلامي قد أعربوا عن غضبهم واستيائهم!!

المؤمن:

اتهام الإسلام بعدم احترام الحرية التي انتقدتْه، وانتقدتْ رموزه، وحاولت تشويه صورة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ على المسلمين أن يلزموا جانب الصمت وعدم الاعتراض على ذلك، فهذا بحد ذاته قمْعٌ صارخٌ لحرية التعبير والفكر، فالحريةُ التي سمحتْ لكم بتشويه صورة النبي الأكرم هي ذاتها التي تسمح للمسلمين بالاعتراض عليكم وبالطريقة التي يرَونها مناسبة، فلماذا الاعتراض إذًا؟!.. وأعيد عليك السؤال نفسه الذي ذكرتُه لك قبل قليل: ماذا لو واجهتَ شخصًا يريد أن يعتدي عليك أو على ممتلكاتك بحجة

حريتـه الشـخصية؟

مـن المؤكـد أنـك سـوف تمنعـه، وتقـول لـه: حريتـك حدودهـا أن لا تعتـدي عـلى غـيرك.. إذًا، فالحريـة التـي تتحجَّجـون بهـا لتبريـر الإسـاءة إلى نبـي الإسـلام، هـي نفسـها الحريـة التـي يحتـجُّ بهـا المسـلون اعتراضًـا وردًّا عـلى إسـاءتكم، وإلا فأنتـم تقمعـون حريـة التعبـير عـلى وفـق رؤيتكـم!

الملحد:

لكـن مـاذا عـن حريـة التعبـير والتفكـير التـي تسـاهم في التقـدُّم والتطـور؟ لمـاذا يجـب أن تكـون هنـاك قيـود عـلى هـذه الحريـات؟

المؤمن:

لا شـك أن حريـة التعبـير والتفكـير هـي أساسـية للتقـدُّم والتطـور، والديـن لا ينكـر ذلـك، ولكـنَّ هـذه الحريـة يجـب أن تـأتي مـع تحمـل المسـؤولية واحـترام حقـوق الآخريـن، فعندمـا تُمـارَس حريـة التعبـير بنحـوٍ يـؤدي إلى الافـتراء عـلى الآخريـن أو إثـارة الفتنـة، فـإن ذلـك يعـدّ انتهـاكًا لحقـوق الآخريـن وتهديـدًا للسـلم الاجتماعـي.

النتيجة:

١ - استغلال حرية التعبير لتبرير الإساءة إلى الدين ورموزه.

٢ - الحرية هي اختيار ومسؤولية، وينبغي ترجيح الأصلح.

٣ - الحرية في الإسلام مقيدة بالعقل والمسؤولية واحترام القيم.

٤ - الحرية المطلقة تؤدي إلى الفوضى والانحراف.

٥ - حرية التعبير تتضمن حق الرد والاعتراض على الإساءة.

٦ - حرية التعبير يجب أن تأتي مع تحمل المسؤولية واحترام حقوق الآخرين.

تم بحمد الله

المحتويات

مقدمة المركز..... ٥
مقدمة..... ٨
تمهيد..... ١١
العقل والفطرة هما مصدر الإيمان بالله..... ٢١
زعم التناقض بين الصفات الإلهية والعلم..... ٢٧
الكون إبداع إلهِ الطبيعة أم إلهِ الصُّدفة ٣٤
الغاية من الخلق..... ٤٣
رحمة الله لا تشمل غير المسلمين والمؤمنين به..... ٥٠
لماذا لم يستشرني الإلهُ قبل أن يخلقني؟!..... ٥٦
الكافر لم يعصِ الله إلا مدةً قصيرة، فكيف يخلد في النار؟!..... ٦٣
عدمُ التمييز بين الصواب والخطأ ينفي وجود إلهٍ خالق!!..... ٧٠
المؤمنون يدعون اللهَ فلا يستجيب لهم..... ٧٧
رحمة الله ومسؤولية الإنسان..... ٨٦

الإيمان بالله ليس عائقًا للاستمتاع بالحياة..... ٩٣
تحدّي القرآن للإنس والجن..... ٩٩
الإيمانُ بالله بين العقل والخوف..... ١٠٥
البحث عن معبودٍ هو فطرةٌ موجودة داخل كل إنسانٍ منذ بداية الخلق... ١١٦
استغلالُ الدين ظاهرةٌ مُشوَّهةٌ لا تُمثِّل جوهرَه..... ١٢٥
هل الدين هو السبب الوحيد للحروب؟..... ١٣٢
قيمةُ الإنسان وعدم الإيمان بالحياة الآخرة..... ١٤٠
من المسؤولُ عن الكوارث الطبيعية؟..... ١٤٩
الخوفُ والإيمان وأثرهما على السلوك الإنساني..... ١٦١
هل العلم يفسِّر كلَّ شيءٍ دون الحاجة للدِّين؟..... ١٧٢
حريةَ التعبير في انتقاد الدين ورموزه..... ١٨٣

صدر للمؤلف

١- دفاع عن الإمام الحسن عليه السلام.

٢- مقالات عقائدية، ج١.

٣-مفاهيم خلقية في فكر الإمام الحسن عليه السلام.

٤-فتوى هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام.

٥- موسوعة دلائل الحق-أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية (١٦ جزء).

٦-خذوا ولاية علي عليه السلام من القرآن.

٧-أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير بين دعوى عموم المصطلح وأدلة الإثبات.

٨- مودة أهل البيت عليهم السلام أصل قرآني وفريضة إسلامية.

٩- أثر السنة في بيان الخطاب القرآني.

١٠ - نظرات في آية المباهلة - دراسة عقدية.

١١- الدسائس التاريخية والثقافية في شبهة تسمية أبناء الإمام علي بأسماء الخلفاء وآباء الطلقاء.

١٢- تحقيق كتاب: دفاع عن السنة المحمدية.

١٣- مرشد السائلين إلى فهم القرآن الكريم - أسئلة وردود قرآنية.